مصر قاهرة المغول
في عين جالوت

دكتور محمد فتحي الشاعر
كلية الآداب ـ جامعة المنوفية

يطلب من دار المعارف

بســـم اللـه الرحمن الرحيم

المقـــدمة

قهرت مصر المغول فى موقعة عين جالوت ، بعـد أن أشاع هؤلاء الغزاة الخراب والدمار والقتل فى أراضى المسلمين فى عدة دول وممالك فى المشرق الاسلامى . وتمكنت مصر من الحاق هزيمة فادحة بالمغول فى الوقت الذى اعتقد فيه بعض ملوك الشام وغيرهم أنه من الصعب جداً التصدى للمغول ، وأن جيش المغول يصعب هزيمته ، وذلك لأن المغول اتصفوا بالوحشية والهمجية والتخلف والتعطش لسفك دماء الأبرياء ، والتمتع باذلال القـادة والحكام الآخـرين . فهم الذين قتلوا الخليفة العباسى ببغداد .

وشاء الله العلى القدير أن تدافع مصر عن العروبة والاسلام وترد كيد المغـول الى نحرهم ، وطردهم الى غير رجعة من بلاد الشـام وغيرها من ديار المسلمين . ومصر أيضا هى التى تصدت بصبر وثبـات للعدوان الصليبى عليها وعلى بلاد الشام الى أن طردتهم وقذفت بهم الى البحر يجرون أذيال الهزيمة والعار وذلك بفضل شعبها القوى الصامد .

وفى صفحات هذا البحث المتواضع يرى القارىء الكريم معلومات موجزة عن المغول ، وعن جنكيز خان ، الذى أقام امبراطوريتهم ، وعن دستورهم الذى حرصوا على السير وفقا لمـا ورد به . ثم انتقلت الى معركة عين جالوت الفاصـلة ، التى قادها جيش مصر، وشعب مصر ، وانتصر فيها بعون الله سبحانه وتعالى،وبذلك حمت مصر ديار الاسلام .

والله الموفق والله أكبر ولله الحمد

الاثنين ٢٥ من صفر ١٤١٦هـ

٢٤ يولية ١٩٩٥م

دكتور محمد فتحى الشاعر
كلية الآداب ـ جامعة المنوفية

الفصـــل الأول

مـــن المغـــول ؟

أصـــل المغـــول :

كان المتبع فى عهد جنكيزخان وفى عهد أبنائه من بعده أن يحتفلوا أول يوم من كل عام لاعتقادهم أن اجدادهم استوطنوا هضبة منغوليا منذ العصور الغابرة وانهم تعرضوا للقتل عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم سوى رجيلن وامراتين استطاعوا الهرب الى منطقة خصبة اسمها ارجين كون Erguene-Coun ، ثم تناسلوا وكثر عددهم ، ووصلوا الى ضفاف أنهـــار الأونوان ، وكيراولان ، وتوجولا تولا ، وكان ذلك فى القـــرن الثـــامن الميلادى(١) .

موطن المغـــول :

قال الجوينى فى كتابه (چهان گشا) ان المغـــول عاشوا فى واد غير ذى زرع ، تزيد مساحته طولا وعرضـا عن مســـيرة سبعة أو ثمانية أشهر ، تحده من الناحية الشرقية بلاد الختاى ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور ، ومن الشمال بلاد القيرغيز ، ومن الجنوب التبت والتنكوت ولم يكن لهم قبـــل ظهور جنكيز خان ســـيد أو حاكم . ولم يكن المغول يعيشـــون فى تلك المنطقة وحدهم ، بل كانت تجاورهم أقـــوام التتار والترك ، وتقع هذه المنطقة الشاسعة فى وسط آسيا وتمتد حاليا من نهر الفولجا الى بحر اليابان ، وتحدها سلســـلة الجبال التى تفصـــل آسيا الصغرى عن سيبريا شمالا ونهر سيمون وبحر الخزر جنوباً ، وقد عاشوا جميعاً عيشة بداوة وارتحال(٢) .

ما الفرق بين المغول والتتار ؟

التتار قوم مختلفون عن المغول ، وقـــد اعتادت كتب التاريخ من عربية أو فارسية أو صينية أو أوربية ذكر المغول قبل خروج جنكيز خان على أنهم التتار . ويقول فؤاد كويرلو أنهم كانوا يطلقون على أنفســـهم

فى هذا العصر لقب التتار . واسم التتار معروف منذ زمن بعيد ، وكانوا يقيمون بجـــوار الختاى ، وأكثر المواضع التى كانت مخصصة لهم هى منطقة بوير ناوور ، وكانوا ينقسمون الى قبائل كثيرة ، وكانت جموع ديارهم سبعين الف بيت ، وكانوا فى أغلب الأحيان خاضعين للختاى ، وقد نشبت بين هؤلاء الأقوام حروب استمرت سنوات ، وكانوا قد سيطروا منذ زمن بعيد على كثير من القبائل والمناطق ، ونتيجة لمنزلتهم هذه كان جميع الاتراك على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وأســمائهم قــد اتخذوا لأنفسهم هذا الاسم واشتهروا به ، وســموا جميعا باسم التتـــار . وذلك ما يحدث الآن بواسطة جنكيزخان وأرومته . فلما كانوا من المغول ، فان سائر الأقوام الأخـــرى من تركيـــة وتترية مثل الجلايرين والأويرات ، والكرابت والنايمان ، والتنقوت وغيرهم ، الذين كان لكل واحد منهم اسمه الخاص به قد أطلقوا على أنفسهم اسم المغـــول تفاخراً ، رغم أنهم كانوا يستنكفون من هذا الاسم قبل ذلك ، وأبناؤهم وذرياتهم الموجودون الا يعتقدون أنهم كانوا يسمون المغول منـــذ زمن بعيد ؟ ولا يعرفون أن المغول لم يكونوا فى الماضى سوى قوم صـــغير من مجموعة الأقوام التى تسكن الصحراء(٣) .

وظهرت للمغول شعوب كبيرة وخاصة منذ زمن الآن قوا الذى يزيد على ثلاثمائة عام ، ظهر لهم نسل كثير يطلقون عليهم اليوم اسم أقوام نيرون ، وعلا أمرهم وارتفعت مكانتهم وعرفوا جميعا باسم المغول ، ولم يكن يطلق على سائر الأقوام الأخـــرى فى ذلك الوقت اسم المغول نظراً لتقارب أشكالهم وعاداتهم وصفاتهم ولهجاتهم ، ولأنهم عاشوا فيما بينهم ، وهؤلاء الأقوام هم الختاى وحورجه ، والايغور ، والقيقان ، والتركمان ، والقاريوق وأقوام التاجيك فقد رأت هـــذه الأقوام فى اطلاق هذا الاسم عليها فائدة كبرى لها(٤) .

ويرى الكثيرون أن اسم التتار مشتق من اللغة الصينية اذ كانت هناك قبيلة مغولية يطلق عليها اسم « تاتا » أو « دادا » أو « تاتان » تســكن منطقة مانجوريا ، وشمال شرقى منغوليا فى القرن الخامس الميلادى . وكانت بعض اللهجات الصينية التى يتوفر فيها صوت (ر) تطلق عليها

« ترتار » أو « تتار » . وقد تميزت تلك القبيلة بروح قتالية عالية ، مما جعلهـا تهـدد القبائل المغولية المجاورة أو القـريبة منها ، وتزعج الصينيين أنفسـهم . وكانت غارات قبـائل تاتا تجلب للصينيين الأقوياء كثيراً من التعـب والعنـاء ،لذلك كان الصينيون يقصـدون تصويرهم بالبرابرة الهمجيين . وقد أطلق مؤرخو الصين هذا الاسم فيما بعد على الشعوب الشمالية المجاورة لها ، أو على الشعوب المعادية لها بصفة عامة، وكان منها قبائل غير مغولية الأصل من منطقة آسـيا . وبفضل خفة يد الصينيين انتقل اسم التتـار كمرادف للبرابرة المتوحشين الى المصـادر العربية والفارسية ثم الأوربية(٥) .

وقد أعلن القائد المغولى جنكيزخان عن شدة غضبه على قبائل تاتا بقوله : « كان التتار يقتلون آباءنا وأجدادنا من قديم الزمان ، فسـوف نأخذ بثأر السلف » . وجمع جنكيزخان كل جيوشه ، وقضى بالفعل على تلك القبائل . ويقول كيتشانوف المؤرخ السوفيتى لتاريخ المغول : « هكذا تم القضاء على قبيلة تتار قبل ظهور المغول على مسرح التاريخ ، تلك القبيلة التى تركت مجرد اسمها يطلق على جميع القبائل المغولية . وعقب مرور ما يقرب من ثلاثين عاما ارتفع صياح (التتـار !) أثناء مجازر المغول فى مدن وقرى الغـرب النائية ، مع أن التتار لم يبق منهـم فى جيوش الغزاة الجارفة الا القليل ، ولم يبق منهم الا الاسم الذى كان يثير الرعب بين الشعوب المختلفة ، بينما هم أنفسهم كانوا مدفونين منذ زمن بعيد فى تراب أوطانهم » . لقد أصدر جنكيزخان أمراً بمنع استخدام اسم التتار الذى كرهه من أعماق قلبه . وحينما قام الرحالة الأوربى روبروك (Rubruk) بزيارة جيوش المغول ١٢٥٤م حذروه بشدة من ذكر اسم التتار أمام المغول ، لكن هذا الاسم كان قد انتشر فى ذلك الوقت انتشارا واسعاً شمل مناطق آسيا وأوربا بكافة بلادها حتى المحيط الأطلنطى ، ولم تستطع مثل هـذه الاجراءات الادارية أن تمحو هـذا الاسم من ذاكرة الشعوب(٦) . وكانت حـروب جنكيزخان مع قبائل التتار فى ربيـع ١٢٠٢م ، وانتصر عليهم ، وبعد هزيمة التتار قـرر جنكيزخان ابادتهم جميعا ، وخاض معهم معارك شرسة وأخضعهم جميعا لحكمه(٧) .

القبائل المغولية القديمة :

أمدتنا مؤلفات التاريخ الصينى ببعض الحقائق التاريخية عن القبائل المغولية قبل الميلاد ـ فذكرت أن السبب فى اقامة سور الصين العظيم قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف قرن انما يرجع الى كثرة هجمات هؤلاء البدو من سكان وسط آسيا . فقد تعودوا شن غزواتهم على شمال الصين ، وأخذ الاسلاب والغنائم . ولقد نجح حكام الصين فى صد خطرهم عن طريق مهادنة البعض ومسالمتهم واتخاذهم مخالب قط ضد بنى جنسهم . وعلى الرغم من عظمة اتساع بلاد الصين ، فان هذا السور كان يضم داخله كل الأراضى الصينية اذ أنه : « لم ينقطع الا عند الجبال المنيعة »(٨) .

ومن أهم الأمم المغولية القديمة أمة النيمان Naimans وكانت كبيرة العدد ، وأمة الكريت Keraites ، وأمة المركيت Merkites وأمة الويرات Ouirates ، وأمة الجلاير Djelaires ، وقبائل الأوراسوت Orassoutes ، والتيجوت Taidjoutes وقبائل البارجوت Bargoutes . وما يخص أمة المغول من قبائلها هى البايوت ، والتيدجوت ، والكنجراتس بالاضافة الى أمة التتار(٩) .

وكانت كل أمة مغولية تمثل وحدة متماسكة من الناحية الجنسية ، واللغوية ، وتعيش عيشة بربرية لا تعرف معنى الحضارة(١٠) .

الظروف التى مرت بها القبائل المغولية قبل ظهور تموجين :

ان القبائل التى ذكرتها بقيت فترة من الزمن قبل الميلاد وبعده تحت النفوذ الأجنبى . ويبدو أن أول هذا النفوذ الأجنبى كان متمثلا فى امبراطورية الهينو Hiong-Nous التى كتب لها البقاء حتى ٩٣ق٠م، ثم بعد ذلك امبراطورية السينبس Sien-Pis التى بقيت حتى ٢٣٣م ، والتى حلت محلها امبراطورية التوباس Les Topas حتى أوائل القرن الخامس الميلادى . وفى بداية القرن الخامس الميلادى قامت امبراطورية الجيوجان ، وكانت السيطرة فيها لعنصر الأتراك ،

الى أن تـم للصـين القضـاء عليهـا بتحالفهم من الويغـور ٧٤٤م . وحتى ٨٤٨م ظلت منغوليا خاضـعة للويغـور الهوى أهوى Hoeihoei حيث كان الصينيون يطلقون عليهم ذلك الاسم . وعندما حل القرن العاشر الميلادى كانت الكلمة العليا فى منغوليا لقبائل الخطا ، ثم بعد ذلك خضعت منغوليا لأسرة كين . وأسرة كين هذه كانت تسيطر على الصين الشمالية فضلا عن أملاكهم الأصلية فى كل من منشوريا ومنغوليا . وقد اتخذوا بكين عاصمة لهم . وأطلق المغول على حكام أسرة كين لقب « التوخان »(١١) .

واستطاعت الأمم المغولية التخلص من حكم أسرة كين عنـد موت الامبراطور تاى تنج Tai Taung ١١٣٧م . وخاض زعماء المغول غمار حرب طاحنة من أجل الوحدة حتى نجحوا فى ذلك . وكانت أمة التتار أقوى من الأمم المغولية فى ذلك الحين ، حتى أن الصـينيين اعتادوا أن يطلقوا اسمها على كافة الأمم المغولية . ويذكـر التاريخ بعض الزعماء الذين قادوا فكرة الوحـدة المغـولية مثل كابل Kabul وكوبـلاى Kubilay ، ويسوجاى Yesugai (وهو والد جنكيزخان)(١٢) .

ظروف معيشة الشعب المغولى :

(أ) طعامهم : نظراً لحياة المغول البدائية الرعوية وفقر بلادهم بالنسبة للمنتجات الزراعية ، فانهم كانوا يعيشون على لحوم الحيوانات مثل الخيول والأرانب البرية ، والثعالب ، والجمل الوحشى ذى السنامين ، والحمار الوحشى ، والغزال ، والنمور ، والأسـماك التى تصـاد من الجداول والأنهار . كما كان شيئاً عادياً أكل لحوم الحيـوانات الميتة . وفى فصل الشتاء كانت اللحوم تؤكل بكثرة . أما فى فصـل الصيف ، فلم تكن من عادتهم أكل اللحوم الا قليلا . وفى الغالـب كانت لحـوماً مجففة . وطريقتهم فى تجفيفها هى أن توضع شرائح رقيقة وتترك معلقة فى الشمس والهواء لتجف ، وجدير بالذكر أنه لم يصـيبها أى شىء من التلف أو التعفن . ومن المعروف أن ألبان الحيـوانات وبخاصة الخيول كانت غذاء صالحاً لهم . وعرفوا صناعة الزبد والجبن . وشرابهم المحبب هو خمير اللبن وعرف باسم « القميز » Kumis الذى كان يحفظ فى

قرب بعد تقليبه بشدة بقطعة من الخشب ، وبعد استخراج الزبد منه . وفى العادة كان خمير اللبن حامض المـــذاق . كما اعتادوا شــرب دماء الخيول فى حالة ندرة الطعام ، وذلك بقطع أحد أوردتها ثم الشرب منها مباشرة وتسد بعد ذلك(١٣) . وامتاز المغولى بالصبر على الجوع لعدة أيام ، وفى مقابل ذلك امتاز أيضا بالشراهة والمقـــدرة على تناول ثلاثة كيلوات من اللحم . والأسرة المغولية تتناول الطعام على دفعات الأولى : الأقوياء ، ثم يأتى دور الشيوخ والنساء ، وأما الأطفال فكانوا يتنازعون على العظام وفتات اللحم(١٤) . وتعود المغـــولى الجلد وتحمل المشاق والصبر دون تبرم . وكانوا يضحكون برغم بطونهم الخاوية ، اذ كان فى مقدرتهم السير مدة عشرة أيام دون أن يذوقوا الطعام ، ولم يكن يأخذ الجندى معه من المؤن سوى قرب بها خمير اللبن(١٥) . ولم يفت المغول الاستفادة الكاملة من صوف وشــعر وعضـــلات وقرون وحـــوافر وعظام الحيوانات . وفى ذلك يقول هارولد لام : « فمن الصوف كانوا يصنعون أغطية خيامهم التى تشبه خلية النحل لتحميهم اذا ما هبت الريح الثلجية ومن أوتار عضلات الحيوان كانوا يجدلون الحبال والقيود . كما كانوا يستخدمون قرون الحيوانات فى صنع أقواس قوية »(١٦) .

(ب) ملبســـهم : وطبقا للحيـــاة البـــدائية الرعوية القاسية فان انطباعاتها ظهرت قوية جليــة على ملابســـهم ، بعـــد أن عرفنا موارد طعامهم . فكانت ملابسهم بسيطة للغاية . وتناسب فى شكلها ظـــروف البيئة من ناحية المناخ الشديد البرودة شتاء والشـديد الحرارة صيفا . فهى مصنوعة من وبر الجمال .وأصواف الأغنام،وجلود الحيوانات(١٧) . وعبارة عن غطاء من فرو السمور تنسدل منه حاشية من الجلد ، وذلك لحماية الرقبة والرأس . وسروال طويل مصنوع من اللباد . واعتادوا تغطية وجوههم بطبقـــة من الشـــحم للـــوقاية من الصـــقيع والرياح الشديدة(١٨) . وكانت ملابس المغول قذرة ، ويبدو ذلك لعزوفهم عن غسلها فى الماء ، لأن ذلك كان شيئا محرما من ناحيـــة ، ولشدة برودة الطقس من ناحية ثانية ، ولضيق ذات اليد وعدم توافـــر أكثر من رداء للفرد الواحد من ناحية ثالثة . وأما فى فصـــل الصيف فكانوا يستبدلون ملابسهم مرة كل شهر . وذلك الأمر كتب القلقشندى فقال : « ... ويقال

انهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة ... »(١٩) ومن الواضح أن عادة عدم غسل ملابسهم كانت تمثل احدى عقائدهم طبقاً لما ورد فى « الياسا الكبرى » اذ نجد المقريزى يقول : « ومنعهم من غسل ثيابهم »(٢٠) .

(جـ) مسكنهم : فرضت الظروف الطبيعية من ناحية الطقس أو المناخ على أفكار المغول أن يشيدوا مساكنهم بطريقة معينة ، تختلف اختلافاً كلياً عن غيرهم من البدو والرحل. فاذا تاملنا كيفية بناء مساكنهم أو خيامهم بتعبير أدق ، والتى تعرف فى لغة المغول باسم « بورت » نجد أنها كانت نصف دائرية وتشبه وعاء مقلوباً . فقد شيدت على شكل حوائط دائرية من صوف ووبر وجلود الاغنام على هياكل من ألواح الخشب ، ربطت بعضها ببعض بقطع من جلود الحيوانات . ونتيجة لذلك فانها لا تتاثر بالرياح والعواصف الشديدة فى فصل الشتاء كما انها كانت تبعث الدفء . وأما فى فصل الصيف فكانت تحميهم من شدة حرارة الشمس . وقد اعتاد المغول صناعة ما يشبه الصناديق من الصوف المقوى والمتين والمغطى بطبقة من شحم الحيوانات لحفظ متاعهم ، وحاجياتهم التى كانوا يخشون أن يصيبها التلف بفعل الأمطار ، أو عند عبور الأنهار . وقد اختلفت بيوتهم فى حجمها فبعضها صغير يكفى لنقله ثور واحد أو جمل واحد ، والبعض الآخر كبير يحتاج الى عربات يجرها اثنان وعشرون ثوراً . وفى العادة كانت أبواب بيوتهم تتجه ناحية الجنوب ، تجنباً لرياح الشمال والغرب القارسة . واعتادوا أن تظل النار مشتعلة وسط البيت لجلب الدفء والحرارة. وأثاث البيت كان فى غاية البساطة ، وعلى الجدران الداخلية علقت الأسلحة والأوانى الجلدية المستعملة لحفظ الألبان ومستخرجاتها. والجزء الداخلى المواجه للباب كان مخصصا لخادم الخيمة ، والجانب الغربى للرجال ، أما الشرقى فكان للنساء(٢١) . وعلى مقربة من الخيمة اعتاد الرجال ، والفتيان ، والأصدقاء الجلوس على مقاعد فى غاية البساطة ، وأما النساء فكن يجلسن عن بعد فى جانب آخر(٢٢) . وعن ملابسهم وبساطتها وطريقة المحافظة عليها نجد هارولد لام يقول : « وكان من السهل تعبئة كل ملابس المغول وأوعيتهم فى صناديق من الجلد أو لفيفات اسطوانية »(٢٣) .

لمحة سريعة عن صفات المغول البدنية والأخلاقية :

مما لاشك فيه أن أثر البيئة ظهر واضحاً جلياً على تكوين المغول من الناحية البدنية . فقد عرف الشخص المغولى بالرأس الكبير ، والوجه العريض النحيل ، وعظام الخد البارزة ، والعيون الصغيرة ذات الجفون المسترخية ، والأنف المسطح ، والشفاة العريضة ، والأسنان القوية ، والرقبة القصيرة ، والصدر الكبير ، والساقين القصيرين المعوجين ، والقامة القصيرة ، والبشرة الصفراء السميكة. وامتازوا بالصبر والجلد ، والجراة فى الحق ، وابداء الرأى دون خوف ، والصراحة التامة . وتلك صفات أخلاقية امتاز بها المغول ، وهى كما يبدو صفات حربية نتيجة لأثر البيئة القاسية حيث أن حياتهم كانت دائماً صراعاً مع الطبيعة من أجل الحياة ، وصراعاً مع بعضهم البعض من أجل الحياة أيضاً(٢٤) .

ديانة المغول :

اعتنق المغول الديانة الشامانية Shamanism وهى ديانة وثنية ، وهى تتلخص فى عبادة كل شىء يسمو على مداركهم ، ويصعب على فهمهم ، فكان لهم آلهة فى النهر ، والجبل ، والشجرة الكبيرة ، والشمس ، والقمر ، والبرق ، والرعد ، وعبدوا أرواح أجدادهم ، وآمنوا بالقوى السحرية ، واعتقدوا بالتنجيم(٢٥) .

ويقول الدكتور مصطفى طه بدر (٢٦): « كما أن المغول كانوا يصنعون من الصوف أشكالا آدمية يضعونها فى بيوتهم ،أو امامها ويعتقدون أنهم بذلك يبعدون الشر عنها ويزيدون الحيوانات فيها ويدرون ألبانها .ومما يذكرونه فى هذا السبيل أن كل مغولى كان عنده فى بيته دميات من القماش تمثله وزوجته وأولاده ، فاذا أكل هو وأهل بيته أتى بتلك الدميات ولوث فمها بالدهن الذى يستخرجه من اللحم ، كما أخذ شيئا من الحساء ورشه أمام البيت ، وبذلك يعتقد أن الاله وزوجته وأولاده شاركوه فى غذائه » .

معاملة المغول لمرضاهم وموتاهم :

بلغ المغول اقسى درجات القسوة وتحجر القلب ، حتى مع بعضهم

البعض ، فلم يرحموا مريضاً ، ولم يعترفوا بحرمة للموتى ، وكان يبدو أن ذلك كان أمراً عاديا بالنسبة اليهم ، ولذا لا يصح أن نندهش ، عندما نعلم أن قسوتهم ظهرت فيما كانوا يعاملون به أعداءهم بعد الانتصار . فقد كانوا لا يتركون أحداً على الاطلاق على قيد الحياة ، امرأة كانت أم جنينا . وخير شاهد على ذلك يبدو فى معاملتهم لمرضـاهم وموتاهم . فيقول الدكتور مصطفى طه بدر(٢٧) : « وعندما يمرض أحد من المغول يوضع فى مرقده ، وتوضع علامة على مسكنه تشير الى وجود مريض فى الداخل والى عدم دخول أحد عليه . ولا يزور المريض أحد أبداً الا من يتولى خدمته . وتوضع حربة خارج الخيمة كما يلفون حولها قطعة من الصوف الأسود ، وبذلك لا يجرؤ غريب على دخولها . وعندما يشتد بالمريض مرضه يتركه الجميع لأنه ليس مصرحاً لمن يشاهد موته أن يدخل مسكن أى عظيم أو قصر أى امبراطور حتى يبزغ القمر الجديد ، فكأنهم ينظرون الى المريض نظرتهم الى ملوث نجس . وليت الأمر وقف عند هذا الحد من القسوة بل انه اذا هرم الأب أعطاه ابنه مادة دهنية مثل ذل الشاة ليأكلها فتضغط عليه وتخنقه . وأنهم كانوا عندما يموتون يحرقون أجساد موتاهم ، ويجمعون بقاياها ليرشوا بها على طعامهم عندما يتناولون الطعام كل يوم » .

جنكيزخـــان

نســـبه :

ان اسم تموچين Temydjin أطلق على جنكيزخان عند ولادته ، وظل محتفظاً به حتى صار له شان عظيم بين قومه وعشيرته . ويرجع السبب فى هذه التسمية الى أن والده هو الذى أطلق عليه هذا الاسم ، وهذا الاسم كان يحمله أحد أعدائه الأسرى . ويبدو من ذلك انه كان من عادة المغول تسمية أبنائهم باسم أعدائهم الذين ينتصرون عليهم . وأما هذا العدو والأسير فهو « تموچين ايجه » الذى أسر مع أخيه كور بوكا Kur Buka ، بعـــد أن انتصر عليهمـــا والـــده يسوجاى بهادر فى (١١٥٤ ـ ١١٥٥م) حينما أعد جيشاً لمحاربة التتـــار(٢٨) . واسمه تموچين معناه « الحديد»(٢٩) ، أو القوى الصلد(٣٠) ، أو الصلب المتين(٣١) . ومما هو جـــدير بالذكـــر أن تموجين ولد ٥٤٩هـ/٥٥٠هـ (١١٥٤ ـ ١١٥٥م) ، وتوفى ٦٢٤هـ/١٢٢٧م(٣٢) .

وأما عن نسبه من ناحية أبيه فهو تموچين بن يسوكاى بن بهادر بن تومان وينتهى نسبه الى امراة تدعى « الآن قوا » . وهذه السيدة كانت بعد أن أنجبت ومات زوجها ، ادعت أنه حدث لها ما حدث لمريم ابنة عمران . وبرغم وضوح هذه الأكذوبة وقباحتها فان شعبها صدقها بعد أن تنبأت بأنها ستلد ثلاثة ذكور دفعة واحدة . وعرف أولادها الثلاثة بين المغول باسم « النورانيين » نسبة الى النـــور الذى ادعـــت أنها حملت منـــه(٣٣) .

أما عن نسبه من ناحية والدته فاسمها «أولون ايكه» Ogelen Eka ومعناها فى لغة المغول « أم الأمم »(٣٤) . وكانت قبـــل أن يتزوجها « يسوجاى بهادور » حديثة العهد فى الزواج من رئيس قبيـــلة التتار ، وكان يدعى « يك يلاتو » Yeke Yilatu ، فقد استطاع يســـوجاى أن يضمها الى حريمه بأن يأخذها عنـــوة وبالقـــوة من زوجها أثناء مقابلة بالصدفة تمت حينما كان « يسوجاى » ومعه أخواه يقومون باقتناء أثر احدى الأرانب البرية البيضاء على الجليد ، وكانت « أولون ايكه » فى

تلك اللحظة فى خيمتها الصغيرة « يورت "Yurt" . ويبدو أن يسوجاى بهادر اعجب بشخصيتها ، حيث قال لأخويه ، بعد نظرته الأولى لها : « ان هذه السيدة سوف تلد ابنا رابط الجاش وصنديداً »(٣٥) . ولشدة ذكائها فهمت مرمى « يسوجاى » فاشارت على زوجها «يك بلاتو» بالهروب حفاظاً على حياته بعد أن ألقت اليه بقميصها علامة على استمرار وفائها له ، وانها سوف تقاوم وتعود اليه فى يوم من الأيام(٣٦) .

ومن الطريف أن بعض المراجع ذكرت أنه قد وجدت قطعة متجمدة من الدماء بين أصابع « تموچين » وأن بعض الحاضرين عندما علموا بذلك أجمعوا على انه سوف يكون له شأن عظيم ، ومستقبل ملطخ بالدماء(٣٧) . ولم تكن « أولون ايكيه » المرأة الوحيدة فى حياة « يسوكاى » بل طبقاً لعادة المغول متزوجاً من سيدات كثيرات . وكانت «أولون» هذه أكثرهن قربا الى قلبه وعقله لجمالها وذكائها وقوة شخصيتها . وكان لتموجين ثلاثة اخوة أشقاء ولدوا بعده . وهم : جورچى قسار الذى تمتع بقوة بدنية غير عادية ، وقاجيون الذى نال درجة عظيمة من الشهرة لرجاحة عقله ، ولجوء القوم اليه للاستشارة ، وتمو أتجكن والذى اشتهر بالميل للعمارة والتشييد(٣٨) .

تموجين فى مرحلة الطفولة :

ولد تموجين فى بلدة « دولون بولداق "Dulun Boldag" (٣٩) . ونقع على الضفة الغربية لنهر الأونون Onon ، ويزيد ارتفاعها قليلا عن جزيرة « ايكى آرال "Eke Aral" ومعناها الجزيرة العظيمة . ويبدو أن هذه المنطقة كانت بلا شك المكان الرئيسى ليسوجاى ، كما يبدو أيضاً أن منطقة الأونون هى أرض المهد للمغول(٤٠) . وقضى تموجين فترة الحضانة فى أحضان والدته ، وبعد فطامه كان يشرب لبن الخيل والماشية ومنذ نعومة أظفاره تغذى بلحوم الحيوانات كالخيول والكلاب والذئاب والثعالب(٤١) . وبلاد المغول لم يكن بها الا الحيوانات الصحراوية مثل الجمل المتوحش ذى السنامين ، والحصان المتوحش ، والحمار الوحشى ، والغزال ، وأنواع الأرانب البرية ذات الفراء الثمين، والذئاب،والنمور(٤٢) .وكان يصبر على الجوع لمدة ثلاثة أيام أو أربعة

برغم صغر سنه ، وتعلم تموچين فى طفولته كيف يبقى على ظهر الأغنام وهو ممسك بصوفها ، كما تعلم أيضاً كيف يطعم نفسه بصيد الأسماك من المجارى المائية · وأما عن المصارعة ومبارياتها فكانت من أحب الألعاب الرياضية الى نفسه ، وبز زملاءه فى هذا المضمار ، برغم أنه كان يميل الى النحافة ، كما أنه كان يجرى عشرة أميال فوق البرارى ذهاباً واياباً· وتدرب تموچين فى صباه على صيد الأسماك من الجداول والأنهار · وكان يشترك مع اخوته فى صيد الحيوانات الصغيرة مثل السمور أو الأرانب البرية أو الثعالب السوداء ، حيث تؤكل لحومها وتدخر الأوتار والجلود(٤٣) ·

وكان للمناخ أثره الواضح فى حياته حيث تقسو الطبيعة بسرعة · فدرجة الحرارة فى فصل الشتاء الطويل ٥٨ تحت الصفر ، وفى فصل الصيف القصير ٦٠ أحيانا ، كما أن قوة الرياح لا حد لها(٤٤) · ولذلك كان يرتدى سروالا واسعا مصنوعا من الجلد وحذاء طويل الرقبة مصنوعاً من اللباد ، وأما غطاء الرأس فكان من فرو السمور تنسدل منه حاشية من الجلد · وعن قوة جسده فيمكن القول انه كان فارع الطول ، عريض المنكبين ، ينساب على ظهره شعره الأحمر ، ووجهه غليظ ومتجعد ، وعيناه متباعدتان ضاربتان الى الزرقة · وقد غطى وجهه بطبقة من الشحم ليحمى نفسه من الصقيع والرياح(٤٥) · وكان شديد المكر كالثعلب(٤٦) ·

تموچين فى مرحلة الصبا :

كان تموجين أمياً حيث لم يكن للمغول مدارس ولا دور للعلم ، ولكنه تعلم عن طريق الاستماع والانصات الى المنشدين الذين كانوا يرددون تاريخ اجدادهم وأمجادهم(٤٧) · كما كان يستمع الى شاعر مغولى يحمل ربابته وهو ينشد قصة أحد أجداده ، وكيف أن هذا الزعيم المغولى جذب احد زعماء الخطا من لحيته ، فكان عقابه أن مات مسموما(٤٨) · وكان تموچين فخورا بأبيه وفخوراً بجده ، وفخوراً بسلالته «النورانيين» التى تنتمى الى الالهة ، طبقاً لعقيدته · وفى ذلك يقول الدكتور ثروت عكاشة(٤٩) : «ولعل هذا هو الذى حبب الى نفس تموجين

أن يجلس إلى الحـــكماء والاخباريين . وكان عنـــدهم علم عن الدول المجاورة ، ويستمع الى علماء تلك الدول فيضيف الى هذا الذى اذكى زهوه ، ويذكى بصره ، ويذكى خبرته ، ويحيى معرفته ، فإذا هو على علم بالأرض التى يعيش عليها ، وعلم بالأرض التى يعيش عليها جيرانه ، واذا هو قد عرف تاريخ الأمم بعدما عرف تاريخ أمته » . وكانت ذاكرته تعج بهذه الأساطير . وكان يحفظ فى مخيلته خريطة المسالك التى تؤدى الى الأراضى المرتفعة أو الى المرعى الخصب . وفى حرارة الصيف الى اماكن الارتواء فى المساحات الرملية الشاسعة من صحراء جوبى . وكانت معلوماته عن الصين عظيمة عرفها عن طريق المنشدين من ناحية ، وعن طريق والده من ناحية أخرى . وعرف أن الصينيين قد بنو السور من قديم الزمان ، وذلك لمنع المغول من الاغارة . وكانت احدى كلمات والده له : « اننا لا نبلغ واحد فى المائة من عدد سكان الصين . والسبب الوحيد الذى من اجله أمكننا مقاومتهم هو أننا جميعا قوم رحل بنتقل بمؤننا من مكان الى آخر . ان لنا خبرتنا بنوع القتال الخاص بنا . اذا ما استطعنا سلبنا ما نحن فى حاجة اليه ، واذا لم نستطع قبعنا بعيداً . أما اذا بدانا نبنى مدنا ونغير من عاداتنا القديمة ساء طالعنا وهوى نجمنا »(٥٠).

تموجين وخطيبته :

وبرغم كون تموجين دون الثالثة عشر من عمره ، فانه كان يبدو أكبر من سنه من ناحيتى النمو الجسمانى والعقلى ، فحدث أن كان مع والده لمقابلة احدى القبائل الداخلة فى طاعته . وحين أشرف « يسوجاى بهادور » على المنطقة المراد الذهاب اليها مر بعجوز على باب خيمتها ، فوقفت تتطلع الى الغلام . ثم قالت : « ليكونن لهذا الغلام شان أى شأن ، فلقد رأيت فيما يرى النائم أن صقراً يحمل على جناحيه الشمس والقمر قد حط على يدى ، واخال أن هذا الحلم قد تحقق بمقـــدمك . وكانى بابنك هو هذا الصقر الذى رأيته فى منامى ، وما أطمعنى فى أن يصهر الى فأزوجه احدى بناتى ، وانا لمن قوم أغنياء اكفاء للأمراء هذا الى أن بناتى وسيمات جميلات ، ولئن تركت لى الخيار ، لأختار له احداهن ، وقد اخترت له ابنتى « بورتارى »(٥١) . ويبدو أن تلك الفتاة كانت على قدر كبير من الجمال والفتنة حتى أن تموجين لم يرفع بصره عنها .

(مصر قاهرة المغول)

ونظر « يسوجاى » الى الصبية ، وكان اسمها « بورتاى » أى ذات العينين الرماديتين ، وأبدى عدم موافقته بقوله : « انها مزالت حديثة السن »(٥٢) . ومهما يكن من أمر ، فان الموافقة على الخطبة تمت بعد أن لمس الوالد بفراسته رغبة ابنه فى الزواج بها . وترك الوالد ابنه تموچين فى منزل خطيبته فترة من الوقت لافساح المجال للتعرف على من اختارها زوجة له . وفى تلك الأثناء ذهب « يسوجاى » الى احدى القبائل الداخلة فى طاعته ، واستقبل بحفاوة بالغة ، ولكنه قصد من ذلك تغطية ما بيتوه له من غدر اذ دس له السم فى الطعام ، الأمر الذى أودى بحياته(٥٣) . وجاء فى كتاب المؤرخ هورث : « ان يسوجاى بهادر مات ١١٧٥م ، وأنه كان ضحية لخيانة التتار ، فلقد دعى فى أحد الأيام لتناول الطعام فى خيامهم حيث خلطوا له السم فى اللحم »(٥٤) .

ولكن الفتى لم يستسلم للياس ، بل أخذ من هذا الذى حدث لوالده نقطة انطلاق نحو عزيمة أقوى ، وثبات ، وتصميم على حماية القبيلة التى مات عائلها غدرا ، كل ذلك برغم أنه كان فى سن الصبا ، والأعداء من حوله يتربصون به الدوائر ، من حاقد ، وطامع ، ومستخف . ووسط هذا البحر المملوء بالأمواج الهائجة ، استطاع تموچين أن يتدرب على الصبر على المكاره ، والآلام ، وتعلم كيف يحنى رأسه عندما تأتى عاصفة ، وكيف يركب الموجة التى تأخذ به الى بر الأمان . وبالطبع أفاده ذلك فى صقل شخصيته ، وأعطاه المنعة ، والقوة أمام الصعاب والعقبات . ولذلك عندما أتيحت له الفرصة ، جعل قاتلى والده يدفعون الثمن غاليا .

حالة أسرته بعد وفاة أبيه :

عرف تموچين انه مقبل على طريق مملوء بالشوك والدماء ، فموت والده بالطريقة التى ذكرتها أثرت فى نفسه غاية التأثير ، وزاد من شعوره بالمرارة تقلب الأيام وغدر الصحاب ، وأدهى من ذلك وأمر تنكر العشيرة . ولكنه برغم ذلك كله لم يهن ، ولم يضل فكره ، ولم يخنه وعيه . فحدث أن أخاً له غير شقيق لأم غير أمه يدعى « بابكتار » أخذ من تموجين طائراً كان قد صاده فاستأثر به دونه ، مما سبب اساءة الى تموجين . وتكررت الحادثة مرة ثانية عندما اصطاد تموجين سمكة كبيرة ، فحاول

« بابكتار » أخذها لنفسه ، وعند ذلك كاد تموجين أن يبطش بأخيه ، لولا أن والدته القت على مسمعه درساً عنيفاً فى وجوب الوحدة . ولكن تموجين كان قد عقد العزم على وضع حـد لحـالة الاجحاف والامتهان لشانه ، ولذلك قام برمى أخيه بسهمه فأرداه قتيلا (٥٥) .

وفى هذا الامر يقول الدكتور ثروت عكاشة (٥٦) : « وعندما علمت امه ، أولون ايكى ، ثارت مؤنبة غاضبة ، وقالت لتموجين : لا غرو ، فما هذا بغريب عليك ، انت الذى نزلت الى الوجود بيد مملوءة دما ، وما فعلت غير ما تفعله الوحوش الضارية ، لا تعرف فى ثورتها أى شىء تفترس ، أما كان الأجدر بك أن توجه ضربتك الى أعدائك «التايدجوت» بدلا من أن توجهها الى اخيك ؟ »

ولما كان تموجين فى الثالثـة عشرة من عمـره عند وفاة والده « يسوجاى بهادور » فقد انفض عنه الاقارب والاتباع ، ورمى بالضعف ، واعلنت القبائل التمرد والعصيان . ولكن هناك شىء على درجة كبيرة من الاهمية ، وهو أن تموجين كان عنيداً الى أقصى درجة ، معتداً بنفسـه الى اخر مدى ، لا يغفر لخصمه امتهانه مهما صغرت ، ويستوى فى ذلك الأخ وغير الاخ ، ولاشك أن حادثة مقتل « بابكتار » كان لها آثارها التى منها : أن يكون « قسار » الذى كان أخا شقيقا لتموجين على بينة من امره ، حيث كان منافساً قوياً له . واشتهر « قسـار » بالقوة البدنيـة الخارقة ،فقيل أنه كانت لديه المقدرة على أن يقصم ظهر أى انسان بكلتا يديه (٥٧) . ومن تلك الآثار أيضاً أن أهله تعلموا بهـذا الدرس القاسى المصير الذى ينتظر كل خارج (٥٨) .

وعن تخلى قومه عنـه عقـب وفاة والده يقـول الدكتور فؤاد الصياد (٥٩) « كذلك استمر أتباعه ينفضون من حوله واحداً بعد الآخر . ولكن عز عليه كثيراً أن يتخلى عنه أيضاً شخص كبير يجـله الجميع ويحترمونه اسمه « توداون قمروجى » . فما كان من تموجين الا أن ذهب اليه بنفسه وحاول فى مسكنة وتواضع أن يثنيه عن عزمه . ولكن هذا الشخص لم يستجب لندائه ، ورد عليه قائلا : « لقد صـممت على الرحيل ومجال التوقف محال » . وفى قسوة بالغة قال البعض الآخر :

« لا حاجة للقوم الى امرأة ضعيفة واطفال مساكين » . وفى النهاية كان هذا هو قرارهم : « ان الرباط القوى الذى كان يمنحنا القوة والمنعة قد ذهب ، والصخرة التى كنا نحتمى وراءها قد تحطمت . ولم يبق غير المراة واطفالها . فما لنا واياهم » . وأخذت عرباتهم المحملة تتدحرج خارجة من المخيم ، فقد خشوا أن يتركوا مصائرهم ومصائر أسرهم بين يدى امرأة وصبى غير محنك مثل تموجين(٦٠) . وكانت والدة تموجين تتمتع بشخصية قوية ، وارادة حديدية ، فحاولت اجبار بعض المنشقين من الاتباع على البقاء وعندما تأزم الأمر وصل الى حد النزاع المسلح . واشترك فى وصف تموجين رجل كبير حنكته التجارب اسمه « جرقه ايوكان » ، وكانت له مكانة عالية بين قومه ، ولكنه أصيب بطعنة نجلاء أودت بحياته . وقد بكى عليه تموجين بكاء مراً وخاصة أن الرجل وهو فى النزع الأخير قال لتموجين : « بعد وفاة أبيك الصالح ، شقت الأقوام والجنود عصا الطاعة ، واعرضوا عنك فأردت أن امنعهم ، ولكن القضاء كان لى بالمرصاد ، ففجاة أصبت بطعنة نجلاء»(٦١) .

شعور تموجين بالمذلة والهوان على يد التايجوت :

ذاق تموجين مرارة الذل والهوان على يد قبيلة التايجوت قبل أن ينتصر عليها(٦٢) . فلما وقع أسيراً فى أيديهم شدوا وثاقه الى نير (كانج) ووضعوه على كتفيه ، وهذا النير يتمثل فى قطعة ثقيلة من الخشب بها فتحة تسمح لرقبته أن تنفذ منها ، ثم يوثق الى كل من طرفيها أحد رسغيه ـ ونظراً لقوته البدنية ، فضلا عن ذكائه الخارق ، استطاع تموجين الهروب من الأسر بعد أن ضرب حارسه على أم راسه بالنير الخشبى ، ثم تخلص من ذلك النير بمساعدة أحد الأصدقاء الذى اخفى تموجين فى عربة كانت محملة بالصوف السائب . وقد بحث عنه التايجوت داخل العربة بحرابهم فاصيب تموجين فى ساقه ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة . وبعد ذلك ساعده الصديق الجديد على الخروج من العربة ليلا وقال لتموجين : « لو أنهم وجدوك لزالت أسرتى من الوجود واصبحت أثراً بعد عين . والآن اذهب الى أمك واخوتك » . واخذ تموجين يجد فى البحث عن أسرته حتى وجدها ، ولم يشأ أن يطلب المساعدة من زعماء القبائل الأقوياء الذين كانوا على صداقة وثيقة مع والده ، وفضل الجهاد

بنفسه فى موطنه الأصلى لأنه كان يحدث نفسه قائلا : « ان الالتجاء الى القبائل كمتسول خالى الوفاض لا يوطد صداقة ، وانما يثير الاحتقار والازدراء » . وظل يجاهد دون أن يذوق للحم طعما(٦٣) .

هجوم قطاع الطرق من التايجوت على مخيم تموجين :

وفى احدى الليالى هجمت جماعة من قطاع الطرق من قبيلة « التايجوت » على مخيم تموجين وسرقت هذه الجماعة ثمانية من خيوله التسعة . وكانت هذه الجماعة تهدف الى قتل أو أسر تموجين ولذلك حاصر بعض الفرسان من قطاع الطرق حدود المخيم ، واتجه بعضهم الى خيمة تموجين التى كان يميزها صارى العلم ذو الذيول التسعة البيضاء(٦٤) .ولكن تموجين تمكن فيما بعد بمساعدة صديقه « بو أورتجو "Bo Ortchou" » أن يستعيد الجياد الثمانية ، ومنذ ذلك الحين توطدت أواصر الصداقة والاخلاص بينهما ، واصبح « بو أورتجو » هذا أحد قادة تموجين فى أيام عظمته(٦٥) . ولما عاد تموجين الى أسرته ومعه الجياد الثمانية،عاد قرير العين ، متمتعا باكبار واجلال قبيلته له .

نجاح تموجين فى كسب صداقة طغرل خان :

بعد نجاح تموجين فى القضاء على قبيلة التايجوت ، ذهب الى منزل خطيبته بعد مرور ثلاثة أعوام على فترة الخطوبة وتزوجها وهى فى عامها الثالث عشر(٦٦) . وفى خلال العام الأول للزواج كان تموجين حريصا كل الحرص على أن يكسب صديقاً قوياً بعد أن حقق انتصاراً على أعدائه . وفى هذا الأمر يقول الدكتور ثروت عكاشة(٦٧) : « من أجل ذلك فكر تموجين فى أن يعود الى الصداقة القديمة التى كانت بين أبيه وطغرل خان زعيم « الكرايت » فيجددها ، كما يعلمهم تموجين قوم أشداء اكفاء فى الحرب . وما كان تموجين يفكر حتى نفذ ما فكر فيه ، وحمل معه ذلك الفراء الثمين الذى أهدى الى أمه منذ حين قريب ، والذى أهداه اليها قوم « بورتاى » زوجه . ومضى الى « طغرل خان » كما يمضى الصديق الى صديقه يحيط به حرسه وفرسانه » . وكان طغر خان قد تغلب على عمه كور خان بمساعدة يسوجاى بهادور والد تموجين(٦٨) . وعرف أيضا باسم « وانج خان » . وكان وانج خان قد

أقسم يمين الصداقة الأبدية ليسوجاى بهادور لأنه فى الحقيقة كان مدينا بالعرش له(٦٩) ٠ ولذلك لا نندهش عندما نجد تموجين موضع رعاية وحب وعناية وتقدير وانج خان ٠ بل وسنجد أنه قدم له المساعدة فى الوقت المناسب بالرغم من أن وانج خان «كان رجلا مسنا ومسالما »(٧٠) ٠

انتصار تموجين على قوم مركيت :

قبائل المركيت سكنت على مجرى نهر سلنجاو جنوب بحيرة بايكال ٠ وهم من الجنس المغولى ٠ وعرفوا بالميل الى الثأر ، والفتن والقلاقل ٠ وكان لهم جيش عرف بقوته وشدته فى القتال ٠ ولما حاولوا الانتقام من تموجين دارت عليهم الدوائر ، وشن تموجين حرباً شعواء ، وعاملهم بمنتهى القسوة ٠ وأمر بالقضاء عليهم جميعا ، فلم ينج منهم الا بعض الهاربين أو من كانوا أجنة فى بطون أمهاتهم(٧١) ٠ وكانت حربهم مع تموجين لمدة سبع سنوات (١١٩٧ — ١٢٠٣م)(٧٢)٠

ولقد وصفهم هارولد لام فقال(٧٣) : « كان لقبائل المركيت ، وهم قوم متوحشون يقطنون شمال التندرا ، ثأر ضد اسرة تموجين ٠ وفى موطنها الذى يسمى « العالم الأبيض المتجمد » ٠

ولا ريب أنه لم يكن فى استطاعة تموجين مقاومة أمة المركيت بمفرده لولا المساعدة الفعالة التى قدمها له « وانج خان » اذ وافق على أن تكون قوات الكرايت تحت امرة تموجين وتناضل الى جانب قواته ضد الأعداء المركيت ٠ وبذلك أمكن لتموجين أن يفك أسر زوجته وأن يقضى على أعدائه بعد حروب طاحنة(٧٤) ٠

انتصار تموجين على أمة كرايت :

عرفت أمة كرايت باعتناقها النصرانية ، ويرجع بداية اعتناقهم لها الى عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ٠ وانتشرت الخرافات والخزعبلات عن هذه الأمة وملوكها فى أوربا(٧٥) ٠ وموطنهم الأصلى فى الوحات الشرقية الداخلة فى صحراء جوبى ، وجنوب بحيرة بايكال Biakal حتى سور الصين العظيم ٠ وهم من أهم الأمم المغولية ٠ وعلى عهد تموجين كانت أمة الكرايت قوية بفضل حاكمها الذى عرف باسم ٠ طغرل Toghril

وكان يدين بالنصرانية ومســـالما • وطغـــرل هـــذا عرف أيضاً باسـم «وانج خان Wang Khan ، كما عرف أيضا باسم الملك يوحنا•وقد اشتهر فى التاريخ باسمه الصينى والتركى معاً وهما Wang Khan • والواقع أن وانج خان ظل معترفا بالجميل ليسوجاى بهادور الذى أقسم له يمين الصداقة الأبدية بعد أن ثبتـــه على عرشـــه وطـــرد عمه – كورخان Gur Khan (٧٦) ، الى منطقة التايجوت(٧٧) • وربما نجـــد فى ذلك تفسيراً للتعاطف والصداقة التى تكونت بين تموجين و «وانجخان»• وكما ذكرت من قبل نجد تموجين قد نجح فى الحصول على المساعدات التى مكنته من القضاء على أمتى المركيت والنيمان Naimans

ولكن التاريخ قد أثبت أن الانسان اذ حقق أى قدر من النجاح فى أى مجال ينتابه شىء من القسوة والتعالى والتباعد ، وفى الوقت نفسه نجد غيره ينظر اليه بشىء من الحقد والحسد والرغبة فى انتزاع المكانة أو على الأقل فى المشاركة فى المزايا •

ولذلك ومع علو شأن تموجين تفاعلت عوامل الحقـــد والحسد فى نفوس أمة الكرايت نحوه نظراً لما بلغه من منـــزلة عالية • وفى الوقت نفسه كان تموجين مدركا كل الادراك واعياً كل الوعى بما يخالج نفوسهم، لذا نجده يدس بينهم عيوناً له • وفى ذلك الأمـــر يقول الدكتور ثروت عكاشة(٧٨) : « وكان تموجين على حظ من الخداع والدهاء أفادته فى شئون الحكم والاضطلاع بأعباء عشيرته ، وكان بعد هذا على بصـــيرة ناقدة ، هيأته الى أن ينفذ الى ما وراء المظاهر من خديعة وما وراءها من مكر • فدس على حاشية الخان نفراً من خلصائه والمعجبين به ليكونوا عيوناً له عليه ، وليعرفوا ما يحاك هناك من دسائس ضده » • وكان على رأس الحاقدين أمير الكرايت الذى انتابه الخوف على مركزه ومركز والده، ولذا نجده يتحالف ضد تموجين مع شـــخص يدعى « جاموكا » ونجح الاثنان فى اقناع « طغرل » بالبحث عن أى سبب للقضاء على تموجين قبل أن يقضى عليهم جميعا(٧٩) •

وفى ذلك قال ابن العبرى(٨٠) : « وكان تموجين ذا بأس فى قهر

الأعداء ، فحسده الأقران ، وسعوا به الى (أونك خان) ، ومازالوا يغتابونه عنده حتى اتهمه بتغير النية ، وهم باعتقاله ، والقبض عليه ». وعن طريق الجواسيس المخلصين له عرف تموجين نية وانج خان . وفى ذلك قال أيضا القلقشندى(٨١) : « وكان بالقـــرب من (ازيك خان) ملكهم صغيران يخدمانه فاطلعاه على ما أضـــمره الملك لجنكيزخان ، وعرفاه ما أضمره له وحذره » .

ومكر وانج خان ولكن تموجين كان أشد مكراً . واستطاع تموجين أن يلقن أمة كرايت بأسرها درساً لا تنساه . فقـــام بالهجوم عليهـــم . وانتصر كما تعود دائما على النصر فى نهاية أى صراع دخل فيه . وبلغت الهزائم حداً كبيراً ، بعد أن أخذهم على حين غرة ، واســـتولى على السيوف المطعمة والكئوس الفضية . وقام بتسليم عرش وانج خان المحلى بالذهب الى الصينيين اللذين كانا قد حذراه من قبل بشان نية وانج خان فى الغدر والهجوم(٨٢) . كما أنعم عليهما بأن منحهما لقب « ترخان » والترخان معناه « الحر الذى لا يكلف شيئاً من الحقـــوق السلطانية ، ويكون ما يغنم من الغزوات مطلقاً لا يؤخـذ من هـــذا نصيب الملك . وأضاف اليهما أن من حقهما الدخول على الملوك دون اذن ، والا يعاقبا على ذنب الى تسعة ذنوب ، وتمتعت ذريتهم من بعدهم بالحقوق السابقة نفســها(٨٣) .

وبعد مقتل وانج خان أصبح تموجين سيداً على أمة الكرايت ، وبهذا فان فرعى الجنس المغولى توحدا تحت زعيم واحد(٨٤) — وفى عاصمة دياره « قره قرم » التى معناها « الرمال السوداء » ،سيق اليه ابن عمه « جاموكا » الذى كان قد تآمر ضده بالاشتراك مع وانج خان . ويبدو أن « جاموكا » كان شديد الاعتداد بنفسه ، ولم تخر قواه برغم هزيمته ، ووقوعه فى الأسر . فعندما سأله تموجين عن أى مصير يتوقع فأجابه جاموكا « المصير الذى كنت أعده لك ، وهو المـــوت البطىء » . وكان جاموكا يعنى القتل بتقطيع اعضاء عضواً عضواً يوماً بعد يوم . غير أن تموجين كان حريصاً على تقاليد المغول ، حريصا على الا يشذ عما عرف عنهم فى معاملة الزعماء الذين ينحدرون من بيت رفيع ، فشنق جاموكا بخيط من الحرير ، وأخمد أنفاسه بين وسائد من اللباد(٨٥) .

انتصار تموجين على قبائل النيمان :

أمة النيمان كبيرة العدد ، كانت تسكن الاقاليم التى يجرى فيها نهر (أرتش الأعلى) ، والتى تخترقها جبال التاى الكبرى(٨٦) ، وحول البحيرات الواقعة فى تلك المناطق . واعتنقوا النصرانية مثل قوم كرايت. ولكنهم كانوا دائما على خلاف مع بعضهم البعض . وهم من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولى(٨٧) . واستغرقت حـــروب تموجين مع النيمان فترة من الوقت بدأت من ١١٩٩م عندما كان وانج خان حليفا له ، وانسحب فجأة من المعركة مما اضطر الى التقهقر وترك بلاد النيمان . ولكن استطاع بعد ذلك القضاء التام عليهم سنة ١٢٠٤م ، وساعده فى ذلك بعض الخلافات العائلية فى أمة النيمان(٨٨) . وعن ذلك الصراع يقول الدكتور ثروت عكاشة(٨٩) : « وما أن استتب الحال لتموجين فى تلك البلاد حتى خرج من فوره نحو وديان الغرب ، حيث الأتراك النيمان الذين كان لهم مع الكرايته تاريخ فى الحرب طويل . فلقد أصبح هـــو الآخر يتوجس منهم الشر ويخافهم على سلطانه الجديد » . ولذلك بعد أن انتهى تموجين من احتفالات تنصيبه عول على الالتفات نحو النيمان الذين طفح حقدهم نتيجة لانتصاراته ، كما أن رئيسهم كان يهدف الى السيادة على بلاد التتار(٩٠) . وبمقتل تايانك خان رئيس قبيلة النيمان، وهزيمة جيشـــه الجرار ، وأســر زوجته ، وزواج تموجين بها ، أصبح تموجين سيداً للموقف بلا منازع .

حصول تموجين على لقب جنكيزخان :

بعد أن نجح تموجين فى توحيد أمة المغول تحت زعامته ، وذلك بفضل ذكائه ودهائه وحنــكته ومهـــارته وكفايته السياســـية والادارية والحربية ، عقد أول مؤتمر عام للمغـــول عـــرف باسم « قورلتـــاى Kuriltia » فى مدينة « قره قورم » عاصـــمة الدولة . وكان ذلك ٦٠٣هـ/١٢٠٦م حيث انتخب تموجين خاقان أى الحاكم الأعلى أو الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه أيضا الخان الأعظم . واستعمل المغول لقب خان أيضا بمعنى خاقان ، وربما كان ذلك من الرغبة فى الاختصار . وأما لقب خان فقد أطلقه المغـول على رؤســائهم الذين يتولون جـــزءاً من الامبراطورية المغولية(٩١) . وفى هذا المؤتمر أيضاً أغدق عليه الحاضرون

لقباً جـــديداً هو جنكيزخان اى اعظـم الحـــكام ، أو امبراطور البشر كله (٩٢) • أو ملك الاقوياء او الملك صاحب القوة والبطش (٩٣) • أو ملك الملوك وحاكم العالم أجمع (٩٤) •

ومن الملاحظ أن هناك شـــبه اجماع بين المراجع المختلفة بشأن التسمية الجديدة ، وهى جنكيزخان فيقول هارولد لام (٩٥) : « وتقدم أحد العرافين ، وحث على ضرورة تغيير اسم الزعيم ، وليكن جنكيزخان الذى معناه الخان الأعظم او الخان الذى يبسط سلطانه حتى شاطىء البحر » • ويقول الدكتور ثروت عـكاشة (٦٩) : « لذلك نهض أحـــد العرافين يختار لقباً جديداً جليلا يتفق وهذا الملك الجـــديد الجليل ، وناشد الجميع أن يسموا ســـيدهم باسم «جنكيزخان» ، ومعنـــاه : ملك الملوك وحاكم العالم أجمع • وذكر مؤرخان (٩٧) أنه فى اثناء هـــذا الأمر ظهر بين المغول أمير معتبر كان يسيح فى الصحارى والجبال فى وسط الشتاء عريانا حافيا ويغيب اياما باسرها ثم يأتى ويقول : « كلمنى الله وقال لى : ان الأرض باسرها قد أعطيتها لتموجين وولده وسميته جنكيزخان • وأما القلقشندى (٩٨) فذكر أن اسمه فى الأصل تموجين وأنه لما عظم شأنه سمى جنكيزخان •

جنكيزخان وكتاب الياسا الكبير

أهمية الياسا والهدف منها :

لما كانت نفس جنكيزخان تتوق الى السيطرة ، والى أن يسود العالم بأسره ، فانه بعد نجاحه فى توحيد أمته تحت زعامته ، عقد اجتماعا فى العام نفسه الذى حصل فيه على لقب جنكيزخان ، وأعلن قانونه المشهور الذى كان بمثابة دستور لدولته الكبرى . وبفضل هذا الدستور نجحت امبراطورية المغول فى التوسع جنوبا على حساب البلاد الصينية ، وغربا لاخضاع قبائل الخطا ، ثم بعد ذلك فى حروبه الأخرى. والقانون المشهور هو الياسا التى كانت بمثابة دستور عام قام على مبادىء ثلاثة : (أولها) الخضوع التام لجنكيزخان ، (وثانيها) الوحدة المغولية لكافة الشعب المغولى (وثالثا) العقاب الصارم لكل مركتب لأى خطأ مهما كانت شخصيته(٩٩) . والواقع أن « ياسا » كلمة مغولية معناها حكم وقاعدة وقانون ، ويلاحظ كتابتها بصور مختلفة فى الكتب الفارسية والعربية ، فنجد ياسا ، وياسه ، ويساق ، ويسق(١٠٠) . وولى جنكيزخان ابنه (جغاتاى) أمر الياسة(١٠١) . وكانت ثقة جنكيزخان بالياسا لا حد لها لدرجة أنه قال : « اذ لم يتبع الأمراء الذين سيأتون من بعدنا قوانين الياساق ، فان امبراطوريتنا ستبلى وتتحطم »(١٠٢) .

والفضل لجنكيزخان فى وضع « كتاب الياسا الكبير - ياسا نامه بزرگ » أو الياسا الكبرى Yassak ، برغم كونه أمياً . وكتبت بالخط الأيغورى . ووجدت نسخة منها منقوشة فى صفائح الفولاذ بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد(١٠٣) .

والواقع أن الياسا كانت بمثابة قانون مختصر ، ودستور حربى ، اجتماعى ، وسياسى . ويجب القول بأنها صدرت مجزأة طوال حكم جنكيزخان ، وأضيفت اليها مواد كثيرة حددت ما لرؤساء العشائر من حقوق ، وامتيازات . وما هو مقرر للخان من شروط الخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات ، وقواعد نظام الضرائب ، فضلا عن مبادىء

القانون الجنائى ، والمدنى ، والتجارى . ومع أن جنكيزخان يعتبر الطاغية الأكبر ، فقد أوصى بأن يلتزم بها خلفاؤه(١٠٤) .

وأبدى المؤرخ هورث اعجابه بها حين قال : « وفى كافة التفصيلات لنظامه الاقتصادى والاجتماعى والسياسى كان جنكيزخان مبدعاً ، وكانت قوانينه ونظمه الادارية تبعث على الاعجاب لدرجة متساوية ومدهشة . فالعدالة ، والتسامح ، والنظام ، والفضائل التى تشكل المثل الأعلى للدولة الحديثة كانت تلقن وتمارس بين حاشيته وأتباعه »(١٠٥) . ولاشك أن جنكيزخان ضمنها كثيراً من عادات وتقاليد المجتمع المغولى الذى تربى وترعرع فيه ، كما حوت فى الوقت نفسه كثيراً من المواد التى « ضمنها من عقله ، وقررها من ذهنه » على حد قول القلقشندى(١٠٦) .

والواقع أن جنكيزخان عبر بنفسه عن الهدف من الياسا حين قال مخاطبا الشعب المغولى : « فليساعد الواحد منا الآخر ولنقض على بقية الأجناس »(١٠٧) . ويبدو أن روح التعاون ، وتفانى الفرد فى سبيل المجموع كانت هدفا حيويا لجنكيزخان اذ نلاحظ على سبيل المثال : ما يلى : كان من حق الفرد المغولى أن يأكل مع من يراهم دون اذنهم . كما كانوا يتعاملون بالاسم فقط دون القاب ، أو استعمال الألفاظ المفخمة . وكانت الطاعة العمياء شيئاً مقدساً فى الياسا ، فكان الأمير الذى يرتكب أى ذنب يلقى بنفسه بين يدى رسول جنكيزخان ذليلا لينال عقابه ، ولو كان فيه هلاكا . والصدق كانت له قداسته ، حتى وصل الأمر الى أن يذهب أحدهم الى الخان ، ويطلب منه أن يقتص منه على ذنب لم يره أحد متلبساً به . وملابسهم كان محرماً غسلها . والقتال كان محرماً بين المغول.كما انه ليس لمغولى أن يتخذ مغوليا خادماً له أو عبداً(١٠٨). والمساواة فى الحقوق بدت فى حق الجندى الاحتفاظ بما استولى عليه من أسلاب ، بعد أن يقدم ما يخص القائد . وكذلك كانوا على ثقة من أن الغنائم ستوزع بالعدل(١٠٩).

الناحية الحربية ومباريات الصيد :

اهتمت الياسا بالناحية الحربية اهتماما بالغا ، ونظمت الأمور الحربية تنظيما غاية فى الدقة والقسوة . وما هو جدير بالملاحظة أن

النظام الحربى طبقاً لما ورد فى الياسا لم يكن كله من ابداع جنكيزخان ، بل كان جله معمولا به فى جيوش المغول ، ولكنه أضاف اليه لمسات من عقله ، وفكره ، وروحه الطاغية ، واكسبه قوة بقوانينه الصارمة . فمثلا جعل الترقية ألى الوظائف الأعلى فى الجيش على أساس الكفاءة فحسب(١١٠) ، وقسم الجيش الى فرق كبيرة كل منها يتكون من عشرة آلاف رجل (تومان) ، وهذه بدورها تنقسم الى فرق تتالف كل منها من الف رجل ، ويتدرج هذا التقسيم الى فرق من مائة وفرق من عشرة(١١١) . واستاثرت اسرته بالرتب العليا فى الجيش ، ويقال لهم (نوين) أو (نويان) . وأما الأشراف من الجند ، فكان لقب الواحد منهم «ترخان» . وكانت لتلك الطبقة عدة امتيازات ، منها الاعفاء من الضرائب ، وحق الاستيلاء على الغنائم التى يحصلون عليها فى الحرب ، وحق دخول بلاط الخان دون استئذان ويقدمون فى الحفلات وحق تناول كأس من الشراب من يد الخان نفسه . وجعل له حرساً خاصاً يشبه الحرس الجمهورى فى أيامنا ، وبلغ عدده عشرة آلاف رجل كان يتخيرهم بنفسه من بين الذين عرفوا بالحذر واليقظة وشدة البأس. ومنهم فرقة خاصة عددها ألف رجل عرف كل منهم باسم « بهادر » أى مبارز شجاع ،وهذه الفرقة الخاصة تتعامل مباشرة مع (الخان) وتسهر على خدمته . وكانت عقوبة أى فرد من الحرس الخاص ثلاث جلدات أول مرة ، فاذا عاد الى التقصير جلد سبعين جلدة . وأما فى المرة الثالثة فيفصل من عمله بعد جلده سبعين جلدة . كما طبق أيضاً مبدأ الطاعة العمياء(١١٢) .

وأما عن الأسلحة فكان سلاح الفرق الأمامية الدروع الكاملة والسيوف والحراب ، كما تغطى الخيول بدروع تناسبها . أما الفرق الخلفية فاقتصرت أسلحتها على القوس والنشاب . ووجد فى الجيش المغولى قاذفات السهام ، وقاذفات اللهب ، بالاضافة الى المجانيق وآلات الحصار الأخرى(١١٣) .

وعلمهم كيف يمسكون السنتهم عن الكلام ،واعطاء الاشارات أثناء النهار باستخدام بيارق مستطيلة ترفع على الرماح . وفى أثناء الليل

كانت الاشارات تتم بواسطة المصابيح الملونة ، وكان من النادر سماع أو رؤية أحدهم حتى ينقضوا جميعا على العدو كالاعصار(١١٤) ٠

واما عن مباريات الصيد فقد حددت الياسا مواعيدها فى فصل الشتاء القارس ، وبداية سقوط الجليد ونهايتها عند ظهور الحشائش ٠ والهدف منها هو القيام بعمل يشبه المباريات الحربية فى عهدنا ٠ ولايخفى علينا ما لهذه المباريات من أهمية حربية وخاصة اذا علمنا أنها كانت تأخذ طابع الجدية ، والقسوة ، وتصل عقوبة أى خطأ الى الضرب بالعصا ثم الاعدام اذا تكرر الخطأ ٠ ويمكن اجمال تلك المباريات فى أنها كانت تقوم على صيد الظباء ، وحمير الوحوش ، والأرانب البرية ، وتمتد من شهر الى ثلاثة شهور(١١٥)٠ وفى ذلك قال هارولد لام(١١٦) : « فبدلا من أن يدعهم يستريحون فى موسم الشتاء الجليدى كان يأمرهم بالخروج فى حملات الصيد الكبيرة ٠٠٠ » ٠

وقد ورد ذكر أهمية مباريات الصيد على أنها وسيلة فعالة للتدريب والاختيار وأنها كانت تراعى فيها نفس الدقة التى تراعى أثناء المعارك الحربية مما يدرب الجند على النظام(١١٧) ٠

جرائم عقوبتها الاعدام :

لكى يحقق جنكيزخان آماله العريضة فى السيطرة فرض فى الياسا عقوبة الاعدام على بنى جنسه عند مخالفة ما جاء بها من الأمور التالية : (١) كل من زنا (٢) كل من لاط (٣) كل من سرق (٤) كل من تدخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر (٥) كل من تبول فى الماء أو على الرماد (٦) كل من خسر فى تجارة بعد المرة الثالثة (٧) كل من أطعم اسير قوم أو كساه بغير اذنهم (٨) كل من وجد عبداً أو أسيراً قد هرب ، ولم يرده على من كان فى يده ٠ (٩) كل من ذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية الاسلامية ، (كانت عادة المغول هى شق بطن الحيوان وتمريس قلبه باليد الى أن يموت) ٠ (١٠) كل من لم يساعد زميله فى حمل قوسه فى حالة الوقوع منه (١١) كل من يشرع فى نهب العدو قبل أن يصدر القائد العام الأمر بذلك ٠ (١٢) كل من يجلس فى الماء وقت الربيع أو الصيف أو يغسل يده فى الماء ٠ (١٣) كل

من يضع الماء فى أوان ذهبية أو فضية (١٤) كل من يلقى بلباس مغول فى الصحراء (١٥) كل من يتهم بالسحر والشعوذة بهدف الاضرار بالغير (١٦) كل جندى أو ضابط متهم بالاهمال ، ولم يقتصر الأمر على مقتله فقط ، بل وتعدم زوجته وأولاده(١١٨) ٠

أفعال كانت تثير غضب جنكيزخان :

كانت هناك أفعال لم تكن عقوبتها الاعـــدام ، ولكنها كانت تثير غضب الطاغية جنكيزخان وهى ما يلى : (١) الابن العـــاق (٢) الأخ الأصغر الذى يختلف مع أخيه الأكبر (٣) الزوج الذى يهجـــر زوجته ٠ (٤) الزوجة التى تهجر زوجها (٥) الغنى الممسك عن مساعدة الفقراء (٦) المرؤس الذى لا يحترم رئيسه (٧) شرب الخمر ٠ وجـــدير بالذكر أن الياسا لم تكن تعد المرء مذنباً الا اذا اعترف بذنبه أو ضـــبط متلبساً بجريمته ٠ ولما كان المغـــول شـــعباً أمياً فكان المـــرء يؤخـــذ بقوله ويلزم به(١١٩)٠

التسامح مع بعض الفئات من غير المغول :

حددت الياسا الفئات التى عوملت بشىء من الرحمة والانســانية والتاسمح ، كما أعفتهم الياسا من الضرائب ، والمؤن ، والتكاليف التى كانت تفرض على غيرهم ٠ وهذه الفئات هى : رجال الدين ، والفقراء ، والقراء ، والأطباء وأرباب العلوم ، وأصحاب العبادة والزهد ، ومغسلو الموتى ٠ وجدير بالذكر أن جنكيزخان لم يكن معتنقاً لأى دين من الديانات المشهورة ولم يكن تابعا لأى مذهب وكان بعيداً عن التعصب(١٢٠) ٠ لكن المغول كانوا فى غاية القسوة والوحشية ٠ وفى ذلك يقول الدكتور ثروت عكاشة(١٢١) : « كانوا متعالين على غيرهم فيهم كبر وفيهم غطرسة ، ينظرون الى من سواهم نظرة ملؤها الاحتقار ، والازدراء ، لهـــذا عدو اعتداءهم على غيرهم من البشر شـــيئا غير منـــكر ، بل غالوا فعـــدوه جزاء عادلا » ٠

نظام البريد :

كان جنكيزخان حريصا كل الحرص على معرفة كل صغيرة وكبيرة داخل امبراطوريته ، لذلك أقام نظاما عرف باسم « يام » ومعناها بلغة

المغول البريد . وجاء اسم البريد « اليام » فى الياسا حيث قال المقريزى: « ... والزم السلطان باقامة البـــريد حتى يعـــرف اخبـــار مملـــكته بسرعة »(١٢٢). فاوامر جنكيزخان كانت تنقل من مكان الى آخر على الخيول . وكان الفرسان يقطعون مائتى ميل فى اليوم الواحد ، وذلك عن طريق استبدال الخيول بخيول جديدة عند كل محطة فى طريقهم . وكان بتلك المحطات قوات مسلحة للحراسة ولحفظ الأمـــن ، وبها ما يحتاجه المسافرون من طعـــام وشراب وعلف للخيـــول(١٢٣) . وكانت الأوامر تحمل فى انابيب مختومة بالذهب . ونظرا لشدة برودة الشتاء فان فرسان البريد (يام) اعتادوا طـلاء وجوههم بالشـــحم . وبسبب السرعة المطلوبة فى تأدية أعمالهم فقد اعتادوا أيضا وضع أجراس صغيرة فى أحذمتهم للتنبيه ولتحذير الغير لافساح الطريق لهم(١٢٤). وهـــذا النظام (يام) قريب الشبه بنظام البريد فى الدولة الاسلامية ، فكان عند جنكيزخان ما يشبه أصحاب البريد ، وعماله عند المسلمين . وقام (اليام) بأكثر من وظيفة منها : وظيفة نقل « اخبار مملكته بسرعة . وهو نظام يشبه المخابرات العامة فى عصرنا ، ومنها استدعاء كبار قادة الجيش لحضور الاجتماعات . وفى ذلك قال جنكيزخان : « ان كل من تحدثه نفسه بالبقاء فى خيمته بدلا من المجىء الى المؤتمر للاستماع الى آوامرى فمصيره الضحر أو يلقى فى قاع البحر أو يرمى بالسهم فى وسط الغاب »(١٢٥) .

وظلت الياسا الكـــبرى محتفظة بمكانتها فى النفـــوس فى عهـــد جنكيزخان ، وفى عهد أبنائه ، وأحفاده . ووصلت الى مكانة التقديس اذ كان لا يجوز التبديل فيها ، وكانوا يرجعون الى نصوصها . واذا خالف حاكم ما جاء بها جاز لهم خلعه .

والياسا كانت ومازالت دليلا قويا على عبقرية جنكيزخان ، وابداعه اذ لا يقل مكانة عن غيره من قادة الثورات العالمية التى أحدثت تغيـــيراً فى التاريخ العالمى، وأجبروا العالم على الخضوع الى نفوذهم وسيطرتهم. ونظراً لمحافظة أبنائه وأحفاده عليها ، بل ونظراً لقـــوة نصوصها بقيت امبراطوريته قوية بعد مماته عـــكس امبراطورية الاسكندر الأكـــبر أو نابليون .

الفصـــل الثــاني

« معركة عين جالوت الفاصلة »

١ ــ غزو المغول للشـــام :

ان ما ارتكبه المغول من اعمال العنف والقتل والتدمير ، أثار موجة عارمة من الذعر فى قلوب امراء المسلمين المجاورين ، مما جعلهم يبادرون بالاعراب عن مشاعرهم وعواطفهم تجـــاه هولاكو مظهـــرين الخنــوع والاستسلام . ومن هؤلاء بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (الذى استقل بحكم الموصل ١٢٣٣م ، بعد أن كان وزيراً لآخر أمـــراء الزنكيين بها ، وظل يحكمها حتى ١٢٥٩م) . والثابت تاريخيا أن بدر الدين لؤلؤ قـد صانع هولاكو ، ودخل فى طاعته ، وحمل اليه الأموال . وحينما سقطت بغداد أرسل اليه هولاكو رءوس الوزراء ببغداد فعلقها على أسوار مدينة الموصل . ولم يكتف بذلك بل انه توجه الى هولاكو ، بعد عودته من بغداد الى مقر سلطانه (أوردو) بالقرب من موقان فى أذربيجان . وقدم أيضا على هولاكو أتابك فارس ليبذل له التهنئة باستيلائه على بغداد ، ثم جاء الأخوان عزالدين كيكاوس الثانى وركن الدين قلج أرسلان الرابع اللذان اقتسما سلطنة السلاجقة بآسيا الصغرى . وأشد اضطراب عز الدين ، نظرا لأنه سبق أن حاول التمرد على القائد المغولى بايجو ، فأنزل به هزيمة ساحقة عند أقصرا ١٢٥٦م ، فاظهر النـــدم ، والح فى طلب العفو من هولاكو ، حتى أقره على ملكه »(١) .

وكانت بلاد الشام ابان الغزو المغولى مقســـمة بين ثلاث قـــوى : الفرنجة ، والأرمن ، والأمراء من البيت الأيوبى . ومن أهم المناطق التى كانت تحت أيدى الأمراء الأيوبيين ، ميافارقين ، وحصن كيفا ، والكرك ، وحلب ، ودمشق ، وحماه ، وحمص .

ولم يكن الأمراء من البيت الأيوبى فى تلك المناطق على وفاق ، وانما كانوا فى نزاع دائم وخلاف مستمر . وبالرغم من علمهم بما فعله

المغول فى بغداد ، فانهم لم يسارعوا بالإتحاد والوقوف فى وجه الخطر المغولى الذى كان ماثلا للعيان .

على ان الناصر يوسف - أمير حلب ودمشق (٦٤٠ - ٦٥٩هـ) - كان أكثر الامراء الأيوبيين قوة واقتدارا ، استخف برأى الأشرف بن الملك الغازى بن الملك العادل صاحب ميافارقين حينما توجه اليه ، وطلب منه سرعة النجدة لمنع المغول من الدخول الى الشام ، ولم يأخذ بمشورته ، وانما سوفه بكلام « **وسرحه من عنده بالأمان** » ، على حد قول ابن العبرى(٢) .

ومن المدهش أن الناصر يوسف هذا لم يقف عند حد الضعف واللامبالاة أمام خطر المغول المحدق بالجميع ، وانما سارع بالاتصال بالمغول عشية سقوط بغداد فى أيديهم ، حيث أرسل ابنه العزيز الى هولاكو ، حاملا الهدايا والتحف لذلك القائد المغولى ، وطالباً منه أن يمده بجيش للمساعدة فى الاستيلاء على مصر ، وطرد المماليك منها(٣) . وعلى الرغم مما فعله الناصر يوسف مع هولاكو ، فان الأخير شك فى اخلاص الأول لعدم حضوره بنفسه أمام يدى هولاكو ، لعرض التبعية والولاء ، وطلب المساعدة والتحالف ضد حكم المماليك فى مصر . وعلى ذلك أعلن هولاكو أن الوفد الذى أرسله الملك الناصر يوسف اليه لا يناسب مقامه ، وراسل رسالة الى الملك الناصر يوسف يأمره بالمجيء اليه لتقديم التبعية واعلان الخضوع(٤) .

غير أن الحوادث التاريخية تتابعت بسرعة حيث أعلن باقى الأمراء من البيت الأيوبى استنكارهم الشديد لموقف الناصر يوسف الايوبى صاحب حلب ، ودمشق - بسبب اتصاله بالمغول ، وعرض التعاون معهم ، والتبعية اليهم ، وعلى ذلك أظهر الأمراء الأيوبيون العداء السافر للناصر يوسف هذا . وشعر الناصر يوسف بالتخبط فى سياسته بعد أن خسر أهل بيته الأيوبى من الأمراء بالشام ، وبعد أن تلقى رسالة هولاكو المهينة ، لذلك رد على رسالة هولاكو برسالة كلها قذف وسباب . وكان هولاكو يدين بالنصرانية ومتزوجا من نصرانية لعبت دوراً سياساً مهما فى تكوين حلف سياسى مغولى صليبى ضد المسلمين(٥) . حيث أعلن هيتوم حاكم قليقية

(أرمينية الصغرى) انضمامه للجيش المغولى للقضـاء على المسلمين بالشام ، هذا بالاضافة الى انتزاع بيت المقدس من المسـلمين ، وانضم بوهيمند حاكم أنطاكية الصـليبى الى ذلك الحلف باعتبـاره زوجا لابنة هيتوم • وشارك البطريق الأرمنى فى هذه الحملة الصليبية السمات وذلك بأن بارك تلك الحرب التى قادها هولاكو المغولى النصرانى ومعه هيتوم الارمنى النصرانى،وكذلك زوج ابنه بوهيمند حاكم انطاكية الصليبى(٦)•

على اية حال ، تحرك المغول من أذربيجان صوب سوريا • وقـاد كتبغا طلائع المغول ، وقاد « بايجو » ، « وسنقر » الجناح الأيمن • أما الجناح الأيسر ، فكان يقوده « سونجاق » • أما القلب فكان تحت قيادة هولاكو • وبدأ الغزو المغولى بالاغارة على امارة ميافارقين بديار بكر ، وكان « الملك الكامل » محمد بن الملك المظفر بن العادل أبى بكر بن أيوب حاكما لها • وأرسل المغول وفدا سياسـا لحاكم ميافارقين لدعـوته الى الدخول فى تبعية المغول • غير أن حاكم ميافارقين رفض طلب المغول ، وفضل مقاومتهم حتى الموت • وازاء موقف هذا الحاكم الشجاع اضطر المغول ، ومن حالفهم من نصارى ارمينيا الى محاصرة ميافارقين لمـدة عامين • غير أن اهالى ميافارقين أبدو شجاعة فائقة فى التصدى للعدو الغاشم ، والحقوا خسائر كبيرة فى جيش المغول المحاصر للمدينة • ولكن نفاد الطعام ، وانتشار الوباء ، واضـطرار الناس الى أن يأكل بعضهم بعضا ، أجبر الملك الكامل على الاستسلام للمغول • وقام المغول بقتـله شر قتلة ، اذ كانوا يقطعون لحمه ، ويدفعون بهذه القطع الى فمه حتى مات • ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به فى المدن السورية الكبيرة • وكان المغنون والطبالون يتقدمون موكب الرأس • وأخيرا على فى شبكة بسور باب الفراديس بدمشق(٧) •

وبعد استيلاء المغول على ميافارقين ، حاصروا مدينة ماردين التى كانت تحت حكم الملك السعيد • غير أن الملك السـعيد رفض الاستسلام للمغول وظل يقاومهم ، برغم أنها تعرضت لحصار المغـول مدة ثمانية أشهر دون أن ينجح المغول فى اقتحامها • وأخيرا اعتدى أحد أبناء الملك السعيد عليه وقتله ، حقنا لدماء المسلمين بعد فشله فى أن يثنى أباه عن

عزمه ، حيث أن أباه كان مصراً على مواصلة المقاومة حتى الموت . وبعد أن سلم الابن الجبان ، الذى قتل أباه القلعة للمغول ، نصبوه واليا على ماردين بدلا منه . وتمكن هولاكو من الاستيلاء على نصيبين ، وحران، والزها ، وقتل اهالى سروج عن آخرهم، لأنهم قاوموه . ثم احتل البيرة، وعبر نهر الفرات ، واغار على منبج حيث سفك دماء الكثيرين من أهلها(٨) .

أما مدينة حلب فقد قاومت الغزو المغولى ببسالة . وكان هولاكو قد تقدم على رأس جيشه وبتعاون الأرمن والفرنج لمحاصرة حلب . وارسل هولاكو رسالة الى « الملك المعظم تورانشاه » والى حلب ، يطلب اليه تسليم حلب ، ووعد هولاكو بأن يؤمن الملك المعظم تورانشاه ، ويؤمن اتباعه ، فلم يجبه الناصر صاحب حلب ودمشق ، والذى كان موجوداً فى ذلك الحين فى حلب ، ولم يبق فيها للدفاع عنها وانما آثر الهرب الى دمشق . وبذلك تحمل الملك المعظم تورانشاه مسئولية الدفاع عن حلب وحده . وهاجم المغول حلب بشراسة ووحشية ، حيث نصبوا حوالى عشرين منجنيقا حول المدينة ، وأمطروها بوابل من القذائف الى أن اضطرت الى الاستسلام . واستباحها المغول سبعة أيام ، قتلوا خلالها أعداداً كبيرة من السكان ، وامتلأت الطرقات بجثث القتلى ، وأسروا النساء والأطفال ونهبوا الأموال . أما قلعة حلب ، فقد استعصت عليهم، واستمرت تقاوم مدة ثلاثين يوما ، ثم استسلمت فى النهاية . واستغل « هيثوم » ملك أرمينيا الفرصة ، فأحرق الجامع الكبير بحلب . وفى ذلك الوقت كان المؤرخ ابن العبرى رئيساً لأساقفة حلب ، وكان أول من سارع للقاء قادة العدوان المغولى النصرانى ، وقدم طاعته لهولاكو(٩) .

وذهب هولاكو الى قلعة حارم للاستيلاء عليها ، غير أن اهلها اشترطوا تسليمها الى - فخر الدين المعروف بالساقى والى قلعة حلب ، لأنه رجل صادق ، مؤمن ، خير ، يوثق به . فغضب عليهم هولاكو ، ولكنه تظاهر بالنزول على رغبتهم . واستدعى فخر الدين ، حتى اذا سلمت اليه القلعة ، أمر هولاكو بقتل فخر الدين أولا . ثم بقتل جميع من فى القلعة من الصغار والكبار ، الرجال منهم والنساء حتى الأطفال . وتمكن المغول ايضا من الاستيلاء على حماه ، والمعرة ، وحمص(١٠) .

ولاريب أن العمليات الوحشية التى مارسها المغول عند غزوهم لبلاد الشام ، وما فعلوه من قتل ، وتشريد ، وتخريب ، وتدمير أثار حالة من الذعر عمت كل مكان فى سوريا ، الأمر الذى جعل الملك اشرف موسى الأيوبى يسارع فى تقديم فروض الولاء والطاعة والتبعية للمغول • وكان فى ذلك الحين يملك فقط تل باشر الصغيرة قرب الرها • فرد اليه هولاكو حمص التى كان الناصر قد انتزعها منه ٦٤٦هـ ، كما اختاره نائبا عنه لبلاد الشام(١١) •

أما دمشق فقد سقطت فى أيدى المغول دون عناء • فعندما علم المدافعون عنها ، بتقدم المغول نحو دمشق هجروها ، ولم يحاول الملك الناصر يوسف ـ صاحب حلب ودمشق (٦٤٠ ـ ٦٥٩هـ) حماية المدينة وانما تركها لمصيرها التعس • وانسحب الى غزة ليكون على مقربة من النجدة التى وعده بها سلطان مصر(١٢)• ولما خابت آماله ، فر هائما على وجه الى أن وقع فى قبضة المغول ، فعفا عنه هولاكو ، ووعده بان يفوض اليه حكومة الشام ، بعد سيطرته على البلاد المصرية(١٣) •

وانتابت حالة من الذعر سكان دمشق ، وبخاصة بعد معرفتهم لما حدث بحلب ، لذلك سارعت الشخصيات المهمة فى المدينة لمقابلة هولاكو • وقدموا له الهدايا والتحف ، وسلموه مفاتيح المدينة • وأظهروا له الانقياد والطاعة ، فدخل المغول المدينة دون اراقة قطرة دم • وعندما امتنعت عليهم قلعة دمشق ، حاصروها ، وأقاموا عليها المجانيق الى أن استسلمت لهم ، نهبوها • وأظهر النصارى فى دمشق حقدهم الشديد الدفين على المسلمين ، وشعور البغضاء ، والرغبة الملحة فى التشفى ، والانتقام من المسلمين • وذلك بتنظيم مواكب نصرانية عامة ، كانوا ينشدون فيها الأناشيد ، ويحملون الصلبان ، ويجبرون المسلمين على الوقوف احتراما لهم ، ومن يمتنع من المسلمين ، كان يتعرض للسب والاهانة • وبلغ بالنصارى التحدى أقصاه ، فدقوا النواقيس ، وشربوا الخمر علنا فى رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات ، كما صبوه على أبواب المساجد ، ولم يستثنوا الجامع الأموى من ذلك ، فضجر المسلمون من تلك الأفعال ، ورفعوا شكواهم الى كتبغا نائب هولاكو ، فلم يحفل بهم ، بل أهانهم ، وضرب بعضهم ، وأخذته موجة

من التمسك بتعاليم النصارى ، فجعـل يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم(١٤) .

وبعد دخول المغول دمشق بثلاثة أسابيع ، سيطر المغول على كل أقاليم سورية ، وقتلوا حامية نابلس لأن الحامية قاومتهم ، ثم تقدموا الى غزة دون أن يقاومهم أحد ، واستسلمت لهم حامية عجلون ، غـير أن قوات المغول لم تصل مطلقا الى بيت المقدس . وهكذا أحاط المغول بالفرنج من كل الجهات ، ولكن لم يكن فى نيتهم مهاجمة الفـرنج فهم حلفاء لهم(١٥) .

المماليك والتعبئة العـامة :

كان غزو مصر يمثل آخر أهداف الخطة العامة للمغول ، والتى تم وضعها أو اقرارها ، فى أثناء انعقاد مجلس البلاط الامبراطورى المغولى فى قراقورم العاصمة فى أواسط آسيا ، نحو ٦٤٩هـ/١٢٥١م أو ٦٥١هـ/١٢٥٣م ؛ اذ كلف خان المغول الأعظم منكوخان أخاه هولاكو بالتقدم غربا لاحتلال غرب ايران ، والعراق ، وبلاد الروم (سـلاجقة الروم شرقى الأناضول ، وبلاد الشام ، ومصر حتى أقصاها)(١٦) .

وكان المغول بعد احتلالهم دمشق قـد سارعوا بالاغارة على مـدن فلسطين ، ناشرين الرعـب ، والدمار فيهـا ، فوصـلت قواتهم الى الصلت(١٧) ، وبركة زيزا(١٨) ، والخليل ، وبيت جبريل(١٩) ، بل وصلوا فى احدى غاراتهم الى غزة ، والكرك(٢٠) . فكانت تلك الحركات بمثابة جس لقوة الدولة المملوكية ، ومدى رد فعلها ازاء فقدانها أقليمها الشمالى .

وسارع هولاكو بارسال رسله الى مصر بكتاب كله وعيد وتهديد ، وانذار بالويل والثبور لسلطان مصر المملوكى ان هو لم يخضع له ويعترف بسلطان المغول(٢١) .

غير أنه من سوء حظ المغـول أن توغلهم فى فلسطين أثار دولة اسلامية كبيرة لم تتعرض للهـزيمة ، وهى دولة المماليك فى مصر ، اذ

اضحى المماليك وقتئذ من الصلاحية والسلامة ما يجعلهم يقبلون تحدى المغـــول(٢٢) ٠

والمعروف عن هؤلاء المماليك انهم كانوا فى الأصل غرباء عن البلاد وأهلها ، وهم من أصل تركى فى الغالب(٢٣) ، اضطر الأيوبيون الى الاستعانة بهم ، فكانوا يشترونهم بالأموال ، ويجعلونهم نواة جيوشهم ٠ وماهى الا فترة وجيزة حتى نشأ بين زعماء هؤلاء الصنائع جيل جديد ، استطاع أن يستأثر بملك البـــلاد ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ٠ وفى الفـــترة التى نؤرخها كان السلطان المملوكى « قطز » ثالث هؤلاء المماليك هو الذى يحكم فى القاهرة(٢٤) ٠

والجدير بالذكـــر أن هؤلاء المماليك جلبـــوا الى مصر أطفـــالا صغاراً ، فنشأوا وسط بيئة عربية خالصة ، وتعلموا منذ نعومة أظفارهم اللغة العربية ، وتلقوا أصول الاســـلام على أيدى مجموعة مختارة من الفقهاء والمشايخ العرب ، فشبوا لا يعرفون دينا غير الاسلام ، ولا وطناً غير الوطن العربى ٠ وبعبارة أخرى فان هؤلاء المماليك قد استعربوا منذ طفولتهم ، وتشربوا العروبة وروحها منذ حداثتهم ، فصاروا جزءاً لايتجزأ من المحيط العربى الكبير ، وأخذ يحسون باحاسيس نفسها التى شعر بها معاصروهم من العـــرب جميعاً نحـــو الأخطار الخارجية الـكبرى التى هددت الوطن العربى الكبير فى ذلك العصر ، فوضعوا أيديهم فى أيدى أبناء مصر والشام ، وسار الجميع تحدوهم فكرة الجهاد فى سبيل اللـــه ، الوقوف صفاً واحداً فى وجه المغول العدو اللدود للمسلمين(٢٥) ٠

والحقيقة أن الملك المظفر قطز تولى السلطة فى ظروف لايحســـد عليها حاكم، حيث كان عليه أن يتصدى للمغول والملك الناصر صلاح الدين يوسف(٢٦) صاحب دمشق ، الذى استنجد بهولاكو للقضـــاء على حكم المماليك بمصر(٢٧) ٠ غير أن الناصر أدرك خطأ اتصاله بأعداء المسلمين من المغول ، عندما غزا المغول حلـــب ، وهرب أكـــثر سـكانها الى دمشق(٢٨) ٠ فأراد أن يحسن صورته أمام العالم الاسلامى ، فارسل الى القاهرة رسالة طلب فيها من الملك المظفر قطز المساعدة العسكرية لمواجهة العدو المشترك(٢٩) ٠

والواقع أن قطز أظهر دهاء وحنكة سياسية فى سبيل توحيد كلمة المسلمين فى مواجهة المغول ، فسارع بارسال رسالة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يتودد فيها اليه ، ويقسم بالايمان أنه لا ينازعه فى الملك ولا يقاومه ، وأضاف أنه ـ المظفر ـ ماهو الا نائب للملك الناصر بمصر وأنه متى قدم الناصر الى مصر أقعده قطز على كرسى السلطة ، وكتب المظفر قطز فى رسالته الى الملك الناصر يقول : « وان اخترتنى خدمتك ، وان اخترت قدمت ومن معى من العسكر صحبة من تختاره »(٣٠) . وبعث هذا الخطاب الطمانينة فى نفس الناصر ، وأظهر بوضوح حرص قطز على وحدة العالم الاسلامى .

على أية حال ، تطورت الأحوال فى مصر فى هذه الظروف بسرعة وكانت البلاد فى تلك الآونة تحت حكم الملك المنصور على بن المعز أيبك التركمانى ، وكان صغير السن ضعيف الشخصية ، هذا فى الوقت الذى كان فيه سيف الدين قطز نائباً ، له مكانة كبرى وبلغ شأواً عظيماً ، وصار الشخصية البارزة فى البلاد نتيجة صغر سن السلطان الملك المنصور على من ناحية ، ولكثرة أنصار وأتباع قطز من ناحية أخرى . فرأى قطز أن مقاومة المغول لا تتم والأحوال بمصر على حالها ، حيث يحكم البلاد سلطان صغير لا يستطيع القيام ، بواجب الجهاد ضد العدو . ومن ثم جمع قطز الأمراء والأعيان بالديار المصرية ، وذوى الرأى والمشورة . كما حضر هذا الاجتماع كمال الدين بن العديم سفير الملك الناصر وأخبرهم قطز : أن الملك المنصور هذا صبى لا يحسن التدبير فى مثل هذا الوقت الصعب . ولابد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل فرد ، ويستطيع التصدى للمغول ، وينتصب للجهاد ، فأجابه الجميع ، ليس لها غيرك . ومن ثم يتضح لنا أن قطز نجح فى اقناعهم وجمع صفهم ، والقضاء على روح الفرقة . ثم قام بالقبض على الملك المنصور على ، وخلعه من السلطنة . ثم بعد ذلك اعتقل بالدور السلطانية فى قلعة الجبل . أما بالنسبة لقطز فقد بويع سلطاناً على البلاد المصرية ، ولقب بالملك المظفر سيف الدين قطز ، وبذلك استقر الأمر له ، وأقسم الناس يمين الاخلاص ، والولاء للسلطان الجديد . وكان ذلك يوم السبت السابع عشر من شهر ذى القعدة ٦٥٧هـ/نوفمبر ١٢٥٩م ، فلما استتب الأمر للسلطان قطز شرع فى الاستعداد لقتال المغول(٣١) .

وحوالى ذلك الوقت ، أخذ كثــير من المماليك البحرية ، الذين هربوا من القاهرة ، أيام أيبك خوفاً من أن ينالهم ما نال أقطاى ، وبقوا فى منتصف الدويلات الشامية الأيوبية ، وفى بلاط دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، أخذوا يفدون الى القاهرة ، بعد أن انتشر المغول بأكبر مدن الشام ، وهددوا آسيا الصــغرى نفســها • ونسى هؤلاء المماليك مخاوفهم ، ونسى قطز مخاوفه كذلك • فرحــب بمقــدمهم ، ومنحهم الاقطاعات الجليلة الواسعة ، فصار المماليك بذلك كتلة واحدة متحدة • وتلك الظاهرة تتكرر كثيراً فى صفوف المماليك ابان الأزمات التى تعرضت لها دولتهم فى تاريخها الطويل • ومن ضمن المماليك الذين رجعوا الى القاهرة والقائلين بوجوب مقاتلة المغول،الأمير بيبرس البندقدارى(٣٢)، الذى استقبله قطز مرحباً ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، وأنزله بدار الوزارة(٣٣) ، واقطعه قليوب وأعمالها(٣٤) •

ولما تسلم السلطان المظفر قطز الانذار من المغول عقــد اجتماعا للأمراء وأعطاهم الرأى والمشورة فقال لهم : « لقد توجه هولاكوخان من توران الى ايران ، بجيش جرار ، ولم يكن لأى مخلوق ، من الخلفاء والسلطان والملوك ، طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق ، ولو لم يبلغه نعى أخيه للحق مصر بالبلاد الأخرى • ومع هذا فقد ترك فى هذه النواحى كتبغا الذى هو كالأسد الهصور ، والتنين القوى فى الكمين • واذا قصد مصر فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته فيجب تدبر الأمر قبل فوات الفرصة • وقال الأمير ناصر الدين القيصرى : «ان هولاكوخان فضلا عن أنه حفيد جنكيزخان ، وابن تولوى، وأخو منكوقا آن ، فان شهرته وهيبته فى غنى عن الشرح والبيان • وأن البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر كلها فى قبضته الآن • وقد اختص بالتأييد السماوى ، فلو ذهبنا اليه لطلب الآمان فليس فى ذلك عيب ولا عار ، ولكن تناول الســم بخداع النفس ، واستقبال الموت ، أمران بعيدان عن حكم العقل ، انه ليس بالانسان الذى يطمأن اليه ، فهو لا يتورع عن اجتزاز الرؤوس ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجاة خورشاه والخليفة ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ، بعد أن أعطاهم العهد والميثاق ، فاذا ما سرنا اليه ، فيكون مصيرنا هــذا السبيل » •

فقال قطز : « والحالة هذه فان كافة البلاد فى ديار بكر وربيعة ، والشام ممتلئة بالمناحات ، والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على ما فيها من حرث ، ونسل ، فخلت من الأرواح ، والأبقار ، والبذور . فلو اننا تقدمنا لقتالهم ، وقمنا بمقاومتهم فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها من البلاد ، وينبغى أن تختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا واحداً من ثلاثة : الصلح ، أو القتال ، أو الجلاء عن الوطن ، أما الجلاء عن الوطن ، فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفراً الا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » . فأجاب ناصر الدين القيصرى : « وليس هناك مصلحة أيضا فى مصالحتهم اذ أنه لا يوثق بعهودهم » . وقال ايضا بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم ، فمر بما يقضيه رأيك . عندئذ قال قطز : « أن الرأى عندى هو أن نتوجه جميعا الى القتال ، فاذا ظفرنا فهو المراد ، والا فلن نكون ملومين أمام الخلق . واتفق رأى امراء على القتال ، ثم اختلى قطز مع بيبرس البندقدارى الذى كان أميراً للأمراء وشاوره فى الأمر ، فقال بيبرس : « انى أرى أن نقتـل الرسـل ، ونقصد كتبغا متضامنين ، فان انتصرنا أو هزمنا فسـوف نكون فى كلتـا الحالتين معذورين »(٣٥) .

وكان رد قطز على تهديد هولاكو واضحاً ، اذ قبض على رسـل المغول ، وأعدمهم توسيطا(٣٦) . فوسط واحداً بسوق الجبل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر زويلة ، وسط الثالث بظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية ، وعلق رؤوسهم جميعاً على باب زويلة ، وأبقى المظفر قطز على صبى من الرسل جعله من جملة مماليكه(٣٧) .

قبـول المعـركة :

كشف الاجتماع الذى دعا اليه قطز فور تسـلمه للانذار المغولى عن وجود اتجاهات مختلفة وهى : (أ) الانسحاب من مصر الى قطر آخـر (لم يذكر اسمه)(٣٨) . (ب) عدم التعرض ، والدفاع عن مصر عند دخول الجيش المغولى حدودها الاقليمية(٣٩) . (جـ) المبادة بالتعرض ، على أساس أن الدفاع عن مصر لا يكون الا فى خارجها أى فى فلسطين

بالذات ، بوصفها مفتاح مصر ، وبوابتها الوحيدة فى الشرق . ولقد نجح قطز بتحريض ، وتشجيع من فائده بيبرس فى تغليب الخيار الأخير ، واتخاذ القرار بقبول المعركة . وبعد انتهاء الاجتماع ، أمر السلطان قطز باعدام الرسل الذين حملوا رسالة هولاكو اليه واسترقاق احدهم(٤٠) . وبذلك أعلنت القيادة المصرية رغبتها فى قبول المعركة الى آخر مدى .

واستندت القيادة المصرية فى موقفها هذا الى ما يأتى : (أ) وجود قوات عسكرية كبيرة فى مصر ، يمكن — ان أحسنت قيادتها وتعبئتها عسكرياً ومعنويا — أن تكون بمستوى يكفل لها تحقيق النصر. (ب) معرفة القيادة المصرية التامة بالطرق الداخلية لبلاد الشام ، وهى التى يمكن أن يسلكها جيش المغول فى أى تقدم مقبل ، وفهمها العميق لطبوغرافية هذا الاقليم ، وخصائصه المختلفة ، ويمكن أن نذكر هنا أن العديد من القادة والجنود المصريين سبق لهم أن خاضوا معارك مهمة فى فلسطين فى أواخر حكم الأيوبيين ، أى قبل الاحتلال المغولى بمدة قصيرة . (حـ) وجود استخبار مصرى قوى فى هذا الاقليم ، عمامه القبائل العربية الموجودة فيها ، وبخاصة فى فلسطين ، وعدد من الزعماء والأفراد الموالين لمصر ، والذين يعدون أنفسهم ، مازلوا مرتبطين اداريا وروحيا بسلطتها المركزية على الرغم من تعرض اقليمهم الى الاحتلال. (د) انحياز السكان من أبناء المدن وأهل القرى الى الجانب المصرى ، ونفورهم الشديد من الاحتلال المغولى وأدواته . (هـ) قصر خطوط الامداد المصرى نسبياً ، وقرب الجيش — عند وجوده فى فلسطين — من مناطق تحشده فى الريدانية (قرب القاهرة) ، والصالحية (فى شرقها). (و) عدم وجود خيار أمام القيادة المصرية سوى القتال ، اذ لم تعد ثمة قوى خارجية يمكن أن تمد اليها يد المساعدة العسكرية ، ولذا فان عليها تحقيق أقصى النتائج اعتماداً على قواها الذاتية فحسب(٤١) .

التعبئة النفسية :

(أ) أولت القيادة المصرية اهتماما واسعا لهذا الجانب نظراً لحالة التداعى العام ، الذى أصاب معنويات العسكريين ، والسكان عامة ، اثر

وصول أنباء اكتساح المغول للجيوش الاسلامية فى المشرق واحتلالهم العراق وبلاد الشام . وكانت حالة من اليأس ، قد تسربت الى نفوس القادة أنفسهم ، فغدوا عاجزين عن اتخاذ قرار محدد بشأن الخطر الداهم ، وبما أن معظم الجيش المصرى كان يتالف من كتائب ، كل منها يأمره قائد يتولى تدريبهم ، واطعامهم ، واسكانهم بوصفه مالكهم ، فقد كان لزاما على السلطان قطز أن يحصل على ولاء أولئك القادة ، ثم موافقتهم على مبدأ قبول المعركة .

(ب) قاوم قطز الاتجاهات الانهزامية التى تمثلت فى مواقف معظم القادة الذين حضروا مجلس الحرب المنعقد فى ١٢ شعبان ٢٤/٦٥٨ يوليو ١٢٦٠م . وكان اعدامه للرسل مساء ذلك اليوم ، يمثل حركة بارعة لتقوية الجبهة الداخلية ، اذ قطعت سبيل التراجع على القادة المترددين ، ووضعتهم أمام أمر واقع ، لا مفر من مواجهته ، وأظهرت جدية القيادة على سلوك الطريق العسكرى لحل الأزمة ، وانقاذ الوطن ، كما ساهمت من ناحية أخرى فى تبديد هيبة المغول فى أعين الشعب .

(جـ) وكان لخطبه الحماسية أثرها فى رفع الروح المعنوية . من ذلك قوله للامراء المترددين : « يا أمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون بيت المال وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين »(٤٢). وكان يلتقى أحيانا بالأمراء المخلصين لقضية الحرب والقتال ، فيدير معهم خطة الاجتماع العام بالأمراء المترددين ، حتى اذا عقد الاجتماع ، وتحدث اليهم فى أمر القتال ، كان التأييد والحماس من قبل أنصاره وأمرائه ، سلاحاً أدبياً للضغط على هؤلاء المترددين وكسبهم لصف المعركة والقتال(٤٣).

وفى أحيان أخرى ، كان يخرج ليلا فى عسكره ، ويصيح فى الأمراء قائلا (أنا خارج القى التتار بنفسى)(٤٤) . حتى جاء اليوم الذى جمعهم فيه « وحضهم على قتال التتر ، وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبى ، والحريق ، وخوفهم من وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ، ونصر الاسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة

اللـه ، فضجوا بالبكاء ، وتحالفوا على الإجتهـــاد فى قتـــال التتر ، ودفعهم عن البلاد » ٠

(د) واضافة الى خطب قطز فى القادة والأمـــراء ، توجه الى الشعب مباشرة ، اذ أرسل المنـــادين يطوفون أنحاء العاصـمة والاقاليم يدعون الناس الى « الخروج الى الجهاد فى سبيل اللـه ، ونصرة لدين رســـول اللـــه صلى اللـــه عليه وســـلم »(٤٥) ٠ فيذكون بذلك روح القتال ، والتصدى للعدو ، ويغرسون الثقة بامكان النصر ٠

التعبئة الاقتصـادية :

يمكن ايجاز اجراءات التعبئة الاقتصادية فيما يلى : (أ) تم تحويل جزء كبير من موارد الدولة لصالح المجهود الحربى ، ففرضت ضرائب جديدة ، ذات طابع تصاعدى ، على فئات الشعب ، واستوفيت ضرائب تقليدية أخرى ، كالزكاة مثلا بصفة عاجلة ٠ كما استوفى بدل نقدى عن كل ذكر لم يشـــارك فى القتـــال ، بل عن النســـاء أيضا من سكان العاصمة(٤٦) ، فبلغ جملة ما جمعه من الأموال ، من أجل المعركة ، نحو ٦٠٠٠٠٠ دينار وهو مبلغ ضخم باعتبار ذلك الوقت ، أنفق جميعه على (العسكر والعربان)(٤٧) ٠ أى على تدريبهم ، واعدادهم وتزويدهم بالأسلحة والمهمات ، وشـــراء الخيـــل والابل والبغـــال ، ومـــا يتصل بذلك من شؤون ٠ (ب) فرضت اجراءات تقشفية ضرورية ، لتقليل نفقات الدولة فى الأمور الســلمية ، وتقلص مظاهر الترف لدى الفئات الثرية ، ولاسيما بين القادة والآمرين(٤٨)٠ وفعل ذلك كله بعد أن أخذ رأى رجال الدين الذين اشترطوا عليه أولا احضار ماعنده ، وعند حريمه ، وما عند الأمراء من الحلى وضربها سكة ونقـــداً وتفـــريقها على رجال الجيش ، فان لم تقم بكفايتهم جـــاز أن يفرض ضرائب جـــديدة على الرعية ، وأن يقترض من أموال التجار ليســـتعين بذلك على مجاهدة أعداء الدين ٠ وامتثل قطـــز لرأى رجال الدين ، ولم يشرع فى جمع اموال من المصريين الا بعد أن أحضر هو والأمراء ما عندهم من الحلى والأموال بين يدى الشيخ عزالدين بن عبد السلام أقوى رجال الدين مكانة فى ذلك الوقت(٤٩) ، والذى رفض اصدار فتوى بجمع الأموال الا اذا تســـاوى المماليك مع عامة المواطنين المصريين فى النفقات ٠ وكان مما

قاله لقطز : « اذا لم يبق فى بيت المال شىء ،وأنفقتم الحوائص الذهب، ونحوها من الزينة وساويتم العامة فى الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجند الا فرسه التى يركبها ساغ أخذ شىء من أموال الناس فى دفع الأعداء ، الا انه اذا دهم العدو وجب على النـــاس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم »(٥٠) ٠

التعبئة العسكرية :

كان اعلان القيادة المصرية حالة النفير العام(٥١) يمثل فى جوهر الأمر ـ الرد المباشر على شروط المغول ، وغطرستهم ، ولم تكن مصر قد شهدت نفيراً عاما ـ على هذا النحو ـ من قبـــل ٠ ورغم أن المصــادر التاريخية تشير الى أن اعلان النفير جاء بعد قتل رسل المغول(٥٢) ، فمن الواضح أن استعدادات كهذه ، بدأت قبل ذلك بمدة غير قليلة ، وقد بدأت فى الغالب عند وصول أنباء احتلال دمشق الى القاهرة ، اذ يشير المؤرخ ابن تغرى بردى الى أنه حينما وصلت غارات المغول الى غزة ، وبلد الخليل كان (السـلطان الملك المظفـر قطز سلطان مصـــر يتهيأ للقـاء التتار)(٥٣) ٠

وتم اتخاذ اجراءات حـــازمة ضـــد كل من يتخلف عن الالتحاق بالخدمة من العسكريين (الأجناد) الا أننا لا نعلم ماهى الاجراءات التى اتخذت بحق من لم يستجب للنفير ، وان كان يفهم من قبـــول دفعهم البدل النقدى ، أن انضمامهم للجيش كان على سبيل التطوع لا الالزام٠ اما القبائل فقد جرى استنفارها عن طريق دعوة زعمائها وجمع كلمتهم فـ « بعث اليهم بالعطايا ، وأزاح العلل أى المظالم »(٥٤)٠

قوى الطـــرفين :

الواقع أن مسألة تقدير أحجام الجيوش فى العصور الماضية مشكلة حقيقية للباحث فى التاريخ العسكرى ، وذلك لسكوت المؤرخين احيانا عن الاشارة الى أعداد الجيـــوش المتحاربة ، واكتفائهم بايراد أوصاف عامة مبهمة ، أو انهم يشيرون الى عدد جيش ما ، ولكنهم يغفلون عن ذكر عدد الجيش المقابل ، وتتأثر الروايات الخاصـــة بهـــذا الشأن ،

بالعوامل النفسية ، والمعنوية لأصحابها ، فالتهويل فى عـــدد القوات المعادية ، يقصد به عادة اظهار بسالة القوات الوطنية ، والتقليل من عدد الأخيرة ، يعطى تبريراً لانكسارها فى معـــركة ما • وبالجملة فان من الصعب جداً الاطمئنان الى التقديرات المتوفرة — وهى قليلة — ويبقى للمؤرخ مجال واسع فى اعادة تقويمها على ضـوء المعطيات التاريخية الأخـــرى(٥٥) •

الجانب المغـــولى :

قوة المغول فى حجم الجيش ، وفى الخبرة العسكرية ، وفى القيادة ، وفى السلاح • ويمكن ذكر كل على حدة : (أ) حجم الجيش : لا تقدم المعلومات المستقاة من الجانب المغولى أى تقدير لحجم الجيش المغولى فى عين جالوت ، ولكن المؤرخ الأرمنى المعاصر ابن العبرى(٥٦) يشير الى أن عدد أفراده بلغ ١٠ر٠٠٠ عشرة آلاف فارس ، وأن هذا العدد ، يقل كثيراً عن أفراد الجيش المصرى • ونحن نشك فى هذا التقدير للأسباب التـــالية :

أولا : ان قائد الجيش المغـــولى كتبغا ، كان يحمل أعلى رتبـــة عسكرية مغولية وهى (نوين) ، ولا تناط به الا المهمات الكـــبرى ، ويتلقى أوامره من هولاكو نفسه • وهو مع ذلك صديقه وصهره ، فلا يعقل أن يتولى قائد بهذه الرتبة ، والمنزلة قيادة جيش صغير •

ثانيا : يشير ابن العـــبرى فى موضع آخـــر الى أن العشرة آلاف فارس ، هى جيش كتبغا عند دخوله بلاد الشام ، ومباشرته احتلالها ، وليس عند نشوب معركة عين جالوت فحسب • وهذا العدد بالغ القلة اذا ما نظرنا الى جسامة المهمة المطلوب منه أداؤها ، وهى المشاركة الفعالة مع هولاكو فى احتلال العديد من المدن الشامية ، وكلها محصن ، ومنيع ، ويحتاج الى جنود كثيرة لاحتلاله •

ثالثا : تذكر الروايات المصرية أن كتبغا جمع كـــل من تفرق من التتر فى بلاد الشام ، وتعنى بذلك جنود الحاميات المغولية التى أنيط بها تثبيت سلطة الاحتلال ، وحماية رموزه ، وجباية الأموال بالقوة ،

ولاشك فى أن عدداً كبيراً من المغول كانت تستوعبه تلك الحاميات نظرا لكثرة المدن الشامية ٠

رابعا : ان غلبة الطابع العسكرى على دولة المماليك الحاكمة فى بلاد الشام ، وحيازتها تراث الأيوبيين العسكرى الحافل ، وتجارب الحروب ضد الصليبيين ، تجعل من غير الممكن أن يحتل كتبغا بلاد الشام كلها بعشرة آلاف جندى فحسب ، ثم يتوجه الى مصر ، وهى قاعدة الدولة ، وفيها جيوشها ليحتلها بما تبقى له من هذا العدد(٥٧) ٠

خامسا : يذكر ابن تغرى بردى أن كتبغا (جمع من فى الشام من التتار وغيرهم)(٥٨) ٠ مما يشير الى وجود قوات غير مغولية الى جانب الجيش المغولى ٠ ومع أن أحدا من المؤرخين العرب ، لم ينوه بحقيقة هذه القوات ، الا أننا نعلم ـ بناء على المعلومات التى تقدمها المصادر الصليبية المعاصرة ـ أن كتائب من الأرمن ، والكرج كانت بصحبة جيش المغول فى معركة عين جالوت(٥٩) ٠ فلقد رأى هؤلاء فى المعركة فرصة للانتقام من الجيش المصرى الذى سبق أن نكل بمن تعاون منهم مع الصليبيين ٠

سادسا : ان استخدام القيادة المصرية مبدأ التعرض غير المباشر ، والمناورة التى أجرتها ضد الجيش المغولى ، يشير الى نوع من تكافؤ قوى الطرفين ، وهذا ينفى أن تكون القيادة المصرية قد استصغرت جيش كتبغا ٠ وبما أن الجيش المصرى الذى خرج من مصر محاربا كان يمثل اقصى ما يمكن أن تعبئه الدولة من جند ، يصبح من المعقول القول بان جيش المغول كان ضخما ، وافر العدد هو أيضا ٠

سابعا : ان الرتبة العسكرية لكتبغا هى (نوين) ، وتعنى حرفيا مقدم عشرة آلاف ، وربما على هذا استند ابن العبرى فى تقديره ، على ان هذا الرقم اصطلاحى(٦٠) محض فى أغلب الأحيان ٠ فمن الممكن دائما زيادته على حسب جسامة الهدف المراد تنفيذه ، وكون أولئك المقاتلين من الخيالة النظاميين ، يعنى وجود أعداد اضافية غير يسيرة ، من الخيالة غير النظاميين ٠ وقد علمنا أن بعضهم كان يشكل كتائب كاملة من الأرمن والكرج ، ومن الجنود النظاميين ، وهم من المشاة ،

والرماة ، والفعلة ، وحملة الاثقال ، التى تضـــم الدروع ، والأسلحة ، والأرزاق • خاصة وأننا نعلم إن كتبغا جمع الى خيالته قوات الحاميات المغولية فى مدن الشام ، وعلى هذا الأساس ، ووفقا لتقديرات خاصـــة بمعارك قريبة سابقة ، يمكن القول بأن عـــدد أفراد الجيش المغولى لم يكن يقل عن ثلاثين ألفا من الخيالة والمشاة(٦١) •

(ب) **الخبرة العسكرية :** كان الخيالة النظاميون فى جيش كتبغا، من القوات التى أفرزت بالأصل من قوات جنكيزخان ، فى أواسط آسيا • ومعنى ذلك : أنها لم تصل الى بلاد الشام الا بعد خوضها معارك عديدة، واختراقها أراضى واسعة متنوعة التضاريس والشعوب ، وقضاء نحو ثمانى سنوات كاملة ــ على الأقل ــ فى التعامل مع جيوش اسلامية بما فى ذلك التعرف على طرق قتالهـــا ، وخططها ، وترتيبها • على أن لنـــا ان نلاحظ أن معظم تلك الحركات كانت تتمثل فى حصار المدن ، والقلاع، واقتحامها ، لا الاشتباك فى ميادين قتال فسيحة ، ومن الواضح أن دور المهندسين العسكريين والفعلة من منجنيقيين ، ورمـــاة ، ونقـــابين ، وناصبى جسور ، وردمى خنادق ، يبدو أكثر بروزا فى تلك المعارك ، بينما يقل دورهم أو يتلاشى فى معارك تجرى فى ميادين قتال فسيحة، ومع ذلك فقد أظهر المغول ، فى عدد من معاركهم خبرة واسعة بفنون المناورة ، وبخاصة المنـــاورة بضرب الجناح ، حيث استخدموها بنجاح فى معركة سمرقند ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، وفى معركة دجيل ٦٥٦هـ/١٢٥٨م •

(جـ) **القيـــادة :** تولى قيـــادة الجيش بأمر من هولاكـو الأمير كتبغا (وتكتب أحيـــانا : كتبوغا ، وكيتوبوقا) ، وهو صهره(٦٢) ، وأحد القادة الكبار الذين صحبوا هولاكو ، منذ تقدمه من أواسط آسيا ، وتميز بأنه كان يتولى قيادة فرقة المقدمة دائما ، وهى أهم فرق الجيش المغولى وأكثرها فعالية ، اذ تقوم بالاستطلاع ، وبمهمات تعرضية سريعة فى الوقت نفسه ، وقد سبق أن قامت بحركات واسعة احتلت على أثرها خراسان ، ولورستان ، والعـــراق ، والاحواز • وكان كتبغا على ميســرة جيش هولاكو يوم احتل بغداد ، وقد احتل بجيشه معظم مدن الشام ، فكفلت له هذه السيرة خبرات واسعة فى سوق الجيوش ، ووضع الخطط المناسبة ، وادارة المعارك ، واستثمارها حتى وصف بأنه كان (خبيرا

بالحروب والحصارات ، وافتتاح الحصون ، والاستيلاء على الممالك). وكان هولاكو (يثق به ولا يخالفه فيما يشير به)(٦٣) . ومن القادة الآخرين الذين عملوا تحت أمرة كتبغا فى الشـــام - وفى معركة عين جالوت خاصة - (بايدر) ، وقد قاد طليعة الجيش . وثمة أمراء أو قادة آخرون نوه بهم ابن العميد ،اذ قال فى معرض كلامه عمن أسر من المغول (وجماعة كثيرة من أعيانهم)(٦٤) .

(د) **الســـلاح** : تميز الجيش المغولى باعتماده على كتاب الخيالة فى مناوراته المختلفة ، وكان الجواد المغولى صغيرا فى حجمه ، ولكنه يتميز عن بقية اجناس الخيل بسرعته الفائقة ، وصـــبره ، وصـــلابته الشديدة . وللجندى خمسة جياد بدل(٦٥) . وكان الرمح ، وهو سلاح الخيالة والمشاة على حد سواء ، يتميز بالقصر بالنسبة للرماح العربية . ولا تشير المصادر الى وجود مشاة ضمن الجيش المغولى . ولـــكن من المفترض أنهم كانوا موجودين ، اذ ترد الاشارة الى (رماة الســـهام) ككتلة رئيسية فى الجيش ، وهم من المشاة بالطبع ، يضاف اليهم حاملوا السيوف ، والهروات ، والرماح والدبابيس ، وناقلو المعدات ، والأرزاق ، ولا توجد معلومات عن نسبة الخيالة الى المشاة .

الجانب المصـرى :

ان قوة الجانب المصرى فى حجم الجيش ، وفى الخبرة العسكرية ، وفى القيادة ، وفى السلاح ، ويمكن ذكر كل على حدة :

(أ) **حجم الجيش** : تسكت المصـــارد التاريخية - حتى المصرية منها - عن تقديم أى تقدير لحجم الجيش المصرى الذى خاض معـــركة عين جالوت ، وتكتفى بعض الروايات بالقول بأنه (مالا يحص)(٦٦) ، وأنه (خلق عظيم)(٦٧) ، وليس من سبيل لتقـــدير حجم الجيش ، الا بدراسة مكوناته على النحو التالى :

أولا : الجيش النظامى ، ويتألف من ثلاثة أقـــسام هى : أجنـــاد الحلقة ، وهم قلب الجيش ، وقوته الضاربة ، ويبلغ عددهم فى مصر وحدها ٢٤٫٠٠٠ ، وكل ١٠٠٠ منهم بأمرة مقدم . المماليك السلطانية ،

وهم اما ينتسبون الى السلطان القائم ، أو السلطان السابق ، أو الى الامراء ، مقدمى الالوف ، ويبلغ عددهم نحو ١٦٫٠٠٠ ، مما لتلك الأمراء ، التابعون لامرائهم ، ويقدر عددهم بنحو ٧٫٠٠٠(٦٨) فيصل المجموع الى نحو ٥٠٫٠٠٠ من الضباط ، والمراتب النظاميين • على أن هذا العدد كان نظريا بالدرجة الأولى ، فان أعدادا من الجنود التابعين للأمراء مقدمى الألوف ، أو التابعين لأمرائهم ، كانوا يستطيعون التملص من الخدمة بوسائل شتى ، وكان على السلطة أن تجد فى طلبهم ، كلما بدأت الاستعدادات العسكرية تجرى فى البلاد • وقد أصدرت القيادة المصرية ، قبيل الخروج الى الحرب (لسائر الولاة بازعاج الأجناد فى الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع)(٦٩) •

ثانيا : القوات القبلية ، وتتألف من القبائل العربية فى مصر(٧٠) ، وبخاصة فى نواحى محافظتى الشرقية والغربية (الوجه البحرى) ، وقد يصل عدد ما تقدمه الى نحو ٢٠٫٠٠٠ • وقبائل التركمان والاكراد المقيمة فى مصر ، منذ عهد الأيوبيين أو اللاجئة الى مصر بعد تعرض مواطنها للاحتلال المغولى ، وقد بلغ عدد جماعة الشهرزورية وحدها ، وهم اكراد عراقيون نحو ٣٠٠ مقاتل(٧١) •

ثالثا : المتطوعون من أبناء المدن ، وهم الذين استجابوا للنفير العام •

رابعا : بقايا الجيوش المحلية فى بلاد الشام ، وهى المعروفة بـ (عساكر الشام ، ويضم عددا من الضباط ، والمراتب الذين كانوا فى الخدمة العسكرية لبعض الحكومات المحلية فى تلك البلاد ، والذين اضطروا الى الانسحاب الى مصر ، قاعدة الدولة المركزية آنذاك • ويبلغ عددهم فى بلاد الشام نحو ٢٤٫٠٠٠(٧٢) • ومن المحتمل أن بضعة آلاف من هذا العدد اتيحت لهم فرصة الانسحاب الى مصر ، والانضمام الى جيشها ، منهم من كان بخدمة الملك المنصور صاحب حماه ، وأخيه الأفضل على •

ان ملاحظتنا بشأن عدد الجنود الفعلى فى الجيش النظامى تجد لها مجالا أوسع للتحقق بالنسبة للقوات القبلية ، والمجموعات

المسلحة غير النظامية ، فقد اعتادت هذه الجماعات على أخذ رواتبها على شكل صفقات بحسب كثرة عدد أفرادها ، وعليه فان من المعقول القول بان عدد أفرادها الفعلي كان يقل عن عددهم النظري فى سجلات الدولة الرسمية الى حد كبير .

خامسا : ويمكن القول بنــاء على ما تقدم ، وعلى ضـوء التجارب العسكرية القريبة السابقة بأن عــدد أفــراد الجيش المصرى فى معركة عين جالوت كان يزيد على ٤٠٫٠٠٠ وقد يصل الى ٥٠٫٠٠٠ من الخيالة والمشاة ، وحملة الأثقال (المعدات) (٧٣).

(ب) الخبرة العســكرية : وكان المماليك كما وصفهم كاتب معاصر (فرسان الاسلام المحترفين للحرب فى تلك العصور) (٧٤) . فجميعهم قد حاز تدريبا عسكريا عاليا ، وموحدا فى تكنات نظامية فى القاهـــرة ، استغرق الشطر الأعظم من حيـــاته ، ومعظمهم خاض غمـــار الحروب الصليبية ، تحت قيادة أمراء أيوبيين محنكين ، وخبروا أساليب المناورة ، فضلا عن حصار المدن الحصينة ، وبخاصة الواقعة فى فلسطين والساحل السورى ، واكتسبوا فهما واسعا لطبوغرافية المنطقة . وزاد من معرفتهم هذه ، انضمام قوات سبق أن واجهت الجيوش المغولية فى ظروف متنوعة كالخوارزمية ، والشهرزورية ، وقوات شامية أخرى أكثر خبرة بأساليب قتال المغول فى بلادهم ، ولقد استفادت القيادة المصرية من تجمع هــذه الخبرة ، فوظفتها لصالحها فى معركة عين جالوت توظيفا حسنا قاد الى النصر (٧٥) .

(جـ) القيـــادة : (أولا) تولى قيادة الجيش المصرى رئيس الدولة نفسه ، وهو السلطان المظفر سيف الدين قطز ، وكان أحد قادة المماليك الكبار فى أواخر عهد الحكومة الأيوبية ، وتولى نيابة السلطنة فى الفترة القصيرة التى سبقت تشكيل أمراء المماليك للحكومة العسكرية فى مصر . وعلى الرغم من عدم اقتران اسم قطز باسم معركة ما فانه كان – على ما وصفه معاصروه – (شابا بطلا شجاعا ، دينا ، غازيا ، مجاهدا ، محببا الى الرعية) (٧٦) . وأنه كان (حازما ، حسن التدبير) (٧٧) .

ثانيا : ويبرز الى جانب قطز ، اسم قائد عســكرى محنك ، هو

ركن الدين بيبرس ، لعب دورا مهما ، بل حاسما ، فى الاعداد للمعركة ، وفى وضع خطتها ، والمشاركة الفعلية فى قيـــادة الجيش المصرى ، ثم بمطاردة فلول المغول فى بلاد الشام كلها . وقد اقترن اسم بيبرس ، منذ أول حياته العسكرية ، بمعركة سريعة وناجحة ، انتصر فيها بقوة محدودة على جيش صليبى كبير ، قرب مدينة غزة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ، كما سجل انتصارا ساحقا على جيش صليبى آخر فى معركة المنصورة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. وقد أثبتت المعركتان الخبرة العسكرية لبيبرس ، وحسن اختياره لوقت الهجوم ومكانه(٧٨) .

(د) الســـــلاح : كان دور المشاة ـ فضلا عن عددهم أكبر من دور أمثالهم فى الجيش المغولى ، ومن عددهم بنسبة غير يســـيرة . وكانت تقاليد الفروسية المملوكية تحتم وجود عدد من الاتباع لكل فارس . ومن الطبيعى أن يكون هؤلاء الأتباع مسلحين بالاضافة الى سائر المشاة من المسلحين بالسيوف ، والرماح ، والبلط ، والدبابيس . أما الخيالة فكانوا يمثلون القوة المدرعة ، والسريعة الحركة فى آن واحد ، فهم من جهة يتميزون بارتدائهم وجيادهم ، والدروع المحـكمة ، التى نقـــلوها عن الصليبيين . ومن ناحية أخرى كانوا يستخدمون الجياد العـــربية الأصيلة المعروفة بقابليتها الفائقة على الحركة(٧٩) .

(حشـــد القوات المقاتلة)

الجانب المغولى : احتشد الجيش المغولى قرب مدينة بعلبك فى وسط سهل البقاع . وكان اختيار مكان تحشده هذا موفقا لأنه يتيح له فرصة استخدام الطرق الداخلية لبلاد الشام بسرعة وكفاءة ، اذ لا توجد حواجز طبيعية تذكر تفصل بين هذه المدينة ، ومدن فلسطين . وتم حشد الجيش المغولى الذى كان أصلا بقيادة كتبغا ، كما أضيفت اليه قوات الحاميات المغولية ، والقوات المتعاونة معها ، ولم تتخـــذ لستر التحشد ـ لمعرفة القيادة المغوليـــة ببعـــد مواقع الجيش المصرى عن ساحة الحـــركات ، ولاستهانتها به ـ ولـكن عـــدم اتخاذها اية خطة أدى الى تسرب أخبار الاستعدادات المغولية بصورة تفصيلية الى القيادة المصرية أولا بأولا . واتخذت منطقة تحشد أمامية فى منطقة غزة ، حيث اتخـــذت طليعة

الجيش المغولى بقيادة الأمير بايدر مواقعها لمراقبة الأحـــوال، جنوبى فلسطين ، واستطلاع أى تقدم عسكرى مصرى باتجاهها(٨٠) .

الجانب المصرى : اختارت القيـــادة المصرية بلدة الصالحية مكانا لتحشد الجيش ، وهى بلدة كان قد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٤هـ/١٢٤٦م لأغراض عسكرية(٨١) ، فى أقصى الشرق من محافظة الشرقية ، على طريق (مدينة القنطرة الحالية) ، قرب قناة السويس ، واتخذت منطقة تحشد الجيش المصرى عند تقدمه باتجاه الشام فى أثناء الحروب الصليبية . وفى هذا المكان جـــرى استقبال حشـــود الفرسان (الخيالة) ، والأجناد (المشاة) ، والمتطوعين والقبائل . واتخذت التدابير لاكمال التشكيلات وتجهيز المواد والأسلحة ، ووسائل النقل ، وما يحتاجه الجيش من معدات ، وخدمات أخرى مقترنا بعمل مســـتمر على تعزيز المعنويات ، ورفع روح القتال ، والايمان بالنصر(٨٢) .

التقدم عبر سيناء : وبعد أن (تكامل عنده العسكر)(٨٣) تقـدم قطز بجيشه عبر شبه جزيرة سيناء ، سالكا طريقا صحراوية حديثة ، تقع الى الجنوب من الطريق التجارية المألوفة على ساحل البحر ، ويظهر أن اتخاذه هذه الطريق كان من أجل اخفاء أنباء تقـــدمه لمباغتته المغول فى فلسطين . وفى أثناء تقدمه ، دفع بمقدمة الجيش ، وهى من الخيالة التى يقودها ركن الدين بيبرس أمامه ، فتقدمت هذه بسرعة وخفة فائقة . وعبر طرق وفرت لها الأمن حتى وصلت غزة فى شهر رمضـــان ٦٥٨هـ/ سبتمبر ١٢٦٠م(٨٤) .

المعـــــركة

من الممكن تقسيم هذه العملية ، التى سماها المؤرخون معركة عين جالوت ، الى ثلاث صفحات رئيسية ، هى كما يلى :

الصفحة الأولى : تحرير غزة والتقدم باتجاه عكا .

الصفحة الثانية : معركة عين جالوت .

الصفحة الثالثة : المطاردة ، معركة ميسان ، الاندفاع الى حمص .

(أ) تحـــرير غـــزة :

أولا : الأهداف : (١) الســـبق فى الشروع بالعمـل ، حيث أن تحريرها سيرغم القيادة المغولية على تغير خطتها ، ومواجهة التقـــدم المصرى بخطة ارتجالية ، وهو ما حدث بالفعل فى الصفحة التالية . كما أن تحرايرها من شأنه تعزيز معنويات الجيش الرئيسى المتقدم ، واطلاق يده عند وصوله فلسطين فى توجيه الحركات بما يحقق الهدف ، خاصة وأنه ليس للمغول أماكن تحشد تالية حتى بعلبك . (٢) الحصول على المبدأة فى مجال الحركات العسكرية المقبلة(٨٥)، بفتح المجال لتهـــديد مواصلات كتبغا اذا تقدم نحو فلسطين(٨٦) ، ومن ثم افتقاده حـــرية العمل ، وحرمانه من فرصة تنفيذ خططه . (٣) ستر تقـــدم الجيش الرئيسى ، واتجاه تقدمه . وتظهر الحوادث التاريخية التالية أن القيادة المغولية لم تميز بين مقدمة الجيش المصرى وسائر فرقه المتقدمة ، ولذلك عجزت عن تقدير الموقف بشكل صحيح(٤) . استطلاع تجمعات المغول ، ومدى استحضاراتهم(٨٧) .

ثانيا : التعرض المصرى على غزة : افتتح الجيش المصرى الصفحة الأولى من تعرضه ، فقد تحركت فرقة الخيالة بقيادة بيبرس ، واندفعت ـ بشكل مباغت ـ باتجاه مدينة غزة ، وطلب القائد المغولى فى المدينة بايدر من قائده كتبغا ، فى منطقة التحشد الرئيسية فى بعلبك ، ارسال تعزيزات عاجلة لانقاذ الموقف ، الا أن الأخير اكتفى بأن أصدر أوامره الى بايدر بالمكوث فى مكانه والانتظار(٨٨) ، ويدل هذا الأمر على أحـــد الأمرين الآتيين أو كليهما : (١) لم يكن لدى كتبغا فكرة واضحة عن عدد أفراد الجيش المصرى المتقدم ، فقدر أن بامكان بايدر مشاغلته ، وكسب الوقت رثيما يصل هو ، بالجيش الرئيسى الى غـــزة . (٢) لم تـــكن معلومات كتبغا عن مراحل غزة ـ القاهرة دقيقة ، كما أنه لم يقدر الى أية مراحل كان الجيش المصرى قد وصل حينما أرسل بايدر رسالته(٨٩) . ولما كانت الأنباء قد وصلت الى القيادة المغولية فى غزة بأن جيشا مصريا يتقدم باتجاه فلسطين ، وقع فى خلدها أن المقدمة التى يقودها بيبرس انما هى الجيش المصرى كله ، فانسحبت بسرعة دونما قتـــال ، مخلية البلدة ، ثم تراجعت بسرعة للالتحاق بالجيش المغولى المحتشد فى بعلبك ،

وفى رواية مغولية(٩٠) أن بايدر اضطر تحت ضغط من الخيالة المصرية التى تعقبته الى التراجع حتى نهر العاصى ·

(ب) التقدم باتجاه عكا :

أولا : بينما اندفع بيبرس بخيالته معقبا القوات المغولية المتراجعة عبر الطرق الداخلية باتجاه الدفاع تقدم قطز بالقسم الاكبر من جيشه فوصل غزة ، حيث أقام بها يوما واحدا (٩١) · ثم تقدم منها تجاه مدينة عكا · وسلك قطز الطريق الساحلية التى تمر بالمناطق الصليبية ، وبخاصة أراضى الامارة الصليبية فى عكا ، ولم يسلك الطرق الداخلية وهى التى اختارها المغول فى تراجعهم ، وذلك من أجل تحقيق الأهداف الآتية :

(١) ترك قوات بايدر المتراجعة فى تصورها أنها تطارد من قبل الجيش المصرى كله ، بينما يقوم هو بمباغته للجيش المغولى الرئيسى شمالى فلسطين (٢) الحيلولة دون اجراء أى تعاون أو تنسيق بين القيادة المغولية داخل البلاد والقيادات الصليبية على الساحل ، ومن ثم منع المغول من فرصة تطويق الجيش المصرى المتقدم فى شمال فلسطين (٣) تحييد القوى الصليبية بحد ذاته يمثل خطوة مهمة - اذ يمكن الجيش المصرى من الحفاظ على المبادأة ضد الجيش المغولى ، والقيام بعملية تطويق كبرى لهذا الجيش دون خوف من فتح جبهة جديدة ضد الصليبيين - اذا ما تقدم كتبغا باتجاه الجنوب ، أو قطع طرق مواصلاته فى الأقل ، اذا ما فضل البقاء فى منطقة تحشده فى البقاع ، أو فى جنوب سوريا(٩٢) ·

ثانيا : وصل الجيش المصرى الى مشارف عكا ، حيث بذلت جهود دبلوماسية كبيرة من أجل الحصول على حياد الامارات الصليبية فى معارك الصفحات التالية · ونجحت الدبلوماسية المصرية فى تحقيق أهدافها بالاستفادة من التناقضات الجانبية التى ظهرت فى تلك الآونة بين الجيش المغولى والإمارات الصليبية وتعميقها ، والتلويح بامكانية استفادة الصليبيين من الغنائم المغولية التى سيبيعها لهم المصريون بسعر منخفض(٩٣) ·

الصفحة الثانية : معركة عين جالوت :

(أ) بوغتت قيادة الجيش المغولى بأنباء تقدم الجيش المصرى نحو عكا . وكانت أنباء تحرير غزة ، وتراجع الامير بايدر بقواته ، قد أثارت الحنق فى نفس القائد العام كتبغا مما اضطره الى ترك بعلبك بسرعة(٩٤) والاندفاع جنوبا باتجاه دمشق فى طريقه الى شمال فلسطين. وفى أثناء تقدمه ، وصلته أنباء حدوث ثورة شعبية فى دمشق ضد الحامية المغولية فيها ، (وربما بسبب سحب تلك الحامية وضمها الى الجيش الرئيسى) ، فاضطر مرة أخرى الى التأخر من أجل قمع الثورة وتوطيد السلطة المغولية(٩٥) ، ثم تقدم منها متخذا احدى الطرق الداخلية (ربما كانت طريق القنيطرة الحالية) باتجاه بحيرة طبرية . فاجتازت قواته نهر الأردن ، فى شمال البحرية المذكورة ، وتقدمت مستديرة حول ساحلها الغربى باتجاه منطقة عكا حيث يوجد الجيش المصرى .

ولما كانت أنباء تحركات الجيش المغولى تصل الى أسماع القيادة المصرية أولا بأول ، فقد غادر الجيش المصرى منطقة عكا بسرعة فى ٢٣ رمضان ٦٥٨هـ/أول سبتمبر ١٢٦٢م باتجاه الجنوب الشرقى ، فوصل عين جالوت فى ٢٤ رمضان الثانى من سبتمبر ١٢٦٢م ، حيث اختيرت المنطقة ساحة للمعركة المقبلة .

وافرز قطز فرقة المقدمة التى كان يقودها بيبرس ، وكلها من الخيالة ، لتعقب فلول بايدر المتراجعة شمالا من جهة ، ولاستطلاع تجمعات المغول وتحركاتهم من جهة أخرى ، واستدراج الجيش المغولى الرئيسى الذى يقوده كتبغا نحو منطقة عين جالوت(٩٦) .

(ب) الوصف الطبوغرافى :

(أولا) : (عين جالوت) اسم لبلدة وصفها الجغرافيون العرب بأنها (بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين)(٩٧) . ومازالت خرائبها ماثلة حتى اليوم ، وتقع عند الضفة اليمنى لنهر الجالوت (أو جالوت)(٩٨) ، الذى يأخذ مياهه من عيون قرب زرعين جنوبى بلدة العقولة ، ثم ينساب حتى بلدة (بيسان) ، ومنها يمضى

ليصب فى نهر الأردن (شمالى جسر الشيخ حسين) ، ويحيط بهـــذا المجرى المائى واد يبلغ طوله ١٧ كيلومترا ، ويتراوح عرضه بين كيلومتر واحد وكيلو مترين تقريبا ، بينما يصل عرض النهر فى أقصى اتساعه عند مصبه أربعة أمتار • ويمثل وادى جالوت هذا امتدادا طبيعيا لغور الأردن ، مما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن المعركة جرت فى أرض (الغور) نفسه(٩٩) • ويقع الوادى بين سلسلتى جبال الجليل وجبال نابلس ، وفيه تمضى طرق المواصلات بين بيسان عند نهر الأردن ، وعكا على البحر المتوسط • فالسيطرة على الوادى تعنى السيطرة على المنافذ المؤدية الى فلسطين ، وعلى عقدة مواصلات جيدة تربط بين بيسان شرقا والناصرة شمالا ، وحنين جنوبا وعكا غــربا(١٠٠) • (ثانيا) ويسـاعد الوصف الذى أوردته الروايات التاريخية عن المعركة ، على التعرف على موقعها بدقة كبيرة • فالتل الذى أشير اليه فى روايات الذهبى ، واليونينى، لا ريب أنه الجبل المقابل لخرائب عين جالوت والمعروف حاليا بجبـــل الدحى ، ويعترض هذا الجبل الطريق الداخل الى الوادى تقريبا ، ويطل عليه من جهته ، والجبال التى نوه بها المقريزى وأبو الفداء وابن الوردى هى جبل جلبوع بروابيه المتدرجه من وادى الجالوت • أما مزرعة القصب التى وصفت بأنها بالقرب من ســـاحة القتال ، فما تزال المنطقة حافلة بأمثالها ، وتقع فى قعر الوادى من شرقيه ، ويمكن تحديد هذه المنطقة بين خطى الطول ٢٠ و ٣٥ و ٢٥ و ٣٥ وخطى عرض ٣٠ و ٣٢ و ٣٤، ٣٢(١٠١) •

(ثالثا) استفادت القيادة المصرية من عدم توفر معلومات كافية لدى العدو عن طبوغرافية المنطقة(١٠٢) فاختارت المدخل • الغربى لوادى الجالوت ، ساحة قتال مثالية لها ، وأجبرت العدو على قبـــول المعركة فيها ، وتتميز هذه الساحة بعدة مميزات مهمة منها : (١) تشعب وادى الجالوت فى مدخله الى عدة وديان قصيرة مما ساعد القيادة المصرية على وضع خطة تعتمد مبدأ الالتفاف من وراء جيش العـدو ، ســـاترة حركة جيشها بالتلال العديدة التى تحيط بتلك الوديان • (٢) وجـود جبـــل مرتفع منفـــرد ، يتوسط تلك الوديان المتشـــعبة ، وهو جبـــل الدحى ساعد المصريين على اتخاذه مقرا لقيادتهم ، ومكمنا لفرقة القلب ، وقـد

هيأ ذلك الموقع الممتاز فرصة الاشراف الكامل على سير المعركة وتوجيهها، كما مكن القيادة من اخفاء قسم كبير من الجيش وراءه ، وحرم — فى الوقت نفسه — المغول من فرصة القيام بحـــركة التفاف مقابل(١٠٣) ٠ (٣) وجود المستنقعات ومزارع القصب ، فى أسفل الوادى ، يعيق حركة الخيالة المغولية ، ويتيح للمشاة المصريين فرصة الالتحام بهم والاطباق عليهم (٤) عند السيطرة على قمم الجبال المحيطة بالوادى ، يصبح من الميسور التحكم الكامل بما يجرى فى الوادى نفسه ، ومن ثم منع العدو من القيام باى نوع من انواع المناورة التى برع فيها ٠

(حـ) الأهـــــداف :

(أولا) الجانب المغولى : (١) ضرب أى احتمال ممكن تتولى القيادة العسكرية فى مصر توجيه تعرض ضد الجيش المغولى فى بلاد الشـــام (٢) تحطيم الجيش المصرى ، واذلال قادته من شأنه أن يمنع الشعب العربى فى المدن الشامية من اعلان الثورة على المحتلين المغول ، خاصة بعد أن كشفت ثورة دمشق عقب وصول أنباء تحرير غـــزة اليها ، عن تحين السكان لمثل تلك الفرص (٣) تصفية القيـــادات العسكرية التى انسحبت من وجه المغول ، فى أثناء تقدمهم فى المشرق الاسلامى وبخاصة فى العراق وبلاد الشام ، وباتت تعد العدة للثأر منهم (٤) ضرب أى مجال للتعاون ، وتنسيق المواقف بين القيادة المصرية والموالين لها من القادة والزعماء فى بلاد الشام والجزيرة ، ومن ثم تأمين المغول لمفاتيح العراق الشمالى (٥) تأمين جانب السلطة المحتلة فى العراق نفسه ، بالقضاء على أى احتمال لاعادة توحيد الشام بمصر فى دولة قوية واحدة ، يكون ظهورها ايذانا بتغـــير موازين القوى فى المنطقة لغـــير صالح المغـــول (٦) الثأر لما حدث فى غزة ، عنـــدما أجبرت قوات بيبرس ، القـــوات المغولية على اخلاء البلدة ، ومن ثم اعـــادة هيبة المغـــول فى جنوبى فلسطين(١٠٤) ٠

(ثانيا) **الجانب المصرى :** (١) الاستمرار بالاحتفاظ بزمام المبادأة فى بلاد الشام ، عن طريق توجيـــه ضربة قوية وسريعة بالجيش المغولى المحتشد فى شمالى فلسطين ، يكون من شأنها تشتيت قوة الخصم ، مما

يسهل أمر مطاردته وابادته (٢) تحقيق النصر فى شمالى فلسطين سيفسح المجال ، ويهيء الظروف لقيام سلسلة من الحركات الثورية فى مدن الشام والجزيرة ، تستهدف الاطاحة بسلطات الاحتلال والقضاء على الحاميات المغولية فيها (وهذا ما حدث بالفعل) ٠ (٣) اعادة هيبة الدولة فى فلسطين ، وهى مفتاح مصر ، قلب الوطن العربى المتبقى آنذاك (٤) الحيلولة دون عقد أى تحالف بين المغول والصليبيين أو عدم السماح لهم ، باقتطاف ثمار هذا التحالف ، ان حصل فعلا(١٠٥) ٠

(د) خطط الطرفين :

(أولا) الجانب المغولى : تتلخص الخطة التى وضعها كتبغا ، كما كشف عنها سير القتال ، بما يأتى : (١) احداث الارتباك فى أجنحة الموضع الدفاعى قبل بدء المعركة ، عن طريق قيام رماة السهام بتوجيه (عاصفة السهام) ، على جيش العدو ، نظرا لصعوبة الالتفاف ، على تلك الاجنحة بسبب استنادها الى جانب الوادى (٢) القيام بهجوم عام ، ثم تركيز الهجوم على قلب العدو وبهدف تفكيك عرى ترتيباته وشطره الى شطرين ، ومن ثم الالتفاف عليهما معا ٠ (٣) ليست ثمة معلومات عن اتخاذ القيادة المغولية أية خطة بديلة عند فشل هذه الخطة ٠

(ثانيا) **الجانب المصرى :** (١) استدراج الجيش المغولى الى مدخل وادى الجالوت ، عن طريق اغرائه بوضع فرقة مصرية ذات قابلية حركة عالية ، فى مدخل ذلك الوادى ، ثم سحب الفرقة بسرعة ، ودورانها بشكل محورى على أحد جانبيها ، بهدف تشجيع الجيش المعادى على مطاردتها والتوغل فى الوادى ٠ (٢) تثبيت الجبهة عن طريق تعزيزها بفرقة القلب (٣) حشد القوات الكبيرة وتوجيهها نحو جناح العدو ، فى حركة التفاف واسعة تتخذ من تل القيادة المتوسط محورا لدورانها ، وسترا لها فى الوقت نفسه (٤) الاطباق على العدو من مؤخرته ، فضلا عن مقدمته ، والالتحام به فى قتال ثابت ، يساعد على ذلك احاطته بالمستنقعات ومزارع القصب ، وسفوح الجبال التى يسيطر عليها المصريون(١٠٦) ٠

(هـ) سير القتال :

(أولا) قسم القائد قطز جيشه الى جناحين غير متكافئين حجما

وسلاحا ، فجعل الجناح الأيسر عبارة عن فـرقة خفيفة من الخيـالة ، يقودهم بيبرس ، فى حين جعـل الجناح الأيمن ، هو الأكبر(١٠٧) ، ويتألف من المشاة فضلا عن الخيالة . أما فـرقة القلب ، وهى بامرته المباشرة فقد جعلها تتوسط الجناحين ، وتتخذ مواقعها فى اكمات جبـل الدحى . وافتتح الجناح الأيسر المصرى المعركة فى فجر يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/٣ سبتمبر ١٢٦٠م ، بسلسلة من الأعمال التعرضية السريعة على مقدمة الجيش المغولى ، بهدف استدراجه الى مدخل وادى الجالوت، وبالفعل فقد انقض الجيش المغولى على هـذا الجناح دون أن يحسب حسابا لفرقتى القلب والجنـاح الأيمن ، واغلب الظن أنه لم يراهما ، لاختفاء أولهما فى الجبـل ، وآخرهما خلفه . ووفقا للخطة ، أمطرت كتائب السهام المغولية المصريين بوابل من السهام .

(ثانيا) وعند حدوث الاشتباك بين الجيش المغولى والجناح الأيسر المصرى ، تظاهر الأخـير بالتقهقر ـ وفقا للخطة الموضـوعة مسبقا ـ ليأخذ تقهقره شكل دوران على محور ثابت ، وهو جبل الدحى (حيث مقر القيادة وفرقة القلب) حتى اذا ما سد الجناح مدخل الوادى الصغير المتشعب من وادى الجالوت الرئيسى ، فى نقطة افـتراق عند الجبـل المذكور ، كان الجيش المغولى قد غدا فى الساحة فى مواجهته تماما .

(ثالثا) وفى الوقت نفسه كان الجناح الأيمن ، وهو الأكبر حجما وقوة ، ومعظمه من المشاة ، قد غادر مواقعه الأولى فى الوادى الصغير المشار اليه آنفا ، ومضى يتقدم فى داخل الوادى الرئيسى ملتفا من أمام تل القيادة نفسه ، أى جاعلاً هذا الجبل محورا ثابتا لحركتة(١٠٨) .

(رابعا) وبغية ايقاف انسـحاب الجناح الأيسر(١٠٩) ، وتثبيت الجبهة أمام المغول ، أعطى القائد قطـز ايعازه لفـرقة القلب بمغادرة مواقعها فى أكمات جبل الدحى ، وتعزيز الجناح المذكور(١١٠) . فهبطت تلك الفرقة ، وبضمنها مقر القيادة ، الى أرض الوادى حيث أبدت من ضروب الشجاعة والاقدام ما أوقف التراجع ، وثبـت الجبهة فى تلك المنطقة تماما .

(خامسا) وفى الوقت الذى اخذ فيه الجناح الأيسر ، معززا بفرقة القلب ، بالتعرض المقابل على جيش المغول ، كان الجناح الأيمن قد أكمل التفافه على مؤخرة ذلك الجيش فى مدخل الوادى الرئيسى • وبذلك تم الاطباق عليه من جهتى الوادى ، بينما كانت الجبال تطبق على الجبهتين الاخـريين •

(سادسا) ساعد على اتمام عملية الالتفاف هـذه ، وجود الجيش المغولى فى واد ضيق نسبيا ، مما حد من مجال حركة خيالته ، واضطر للالتحام بقوات المشاة المصرية المسلحة ، والمدربة تدريبا جيدا على هذا النوع من المعارك الثابتة ، فـ (تقاتلوا قتالا شديدا) حتى أبيد من المغول (مالايحصى عدده)(١١١) • وبحسب التقارير المرفوعة الى هولاكو فان (اكثر التتار قد قتلواوأسر من بقى)(١١٢) •

(سابعا) لم يستطع المغول تنظيم عملية الانسحاب ، فقد قتل كتبغا اثناء المعركة(١١٣) ، واسر ابنه(١١٤) ، وتشتتت القيـادة المغولية ، واستطاع القائد (بيدرا) التسلل بعـدد من جنوده الى خارج الساحة ، تاركا بقية الجيش يواجه مصيره بنفسـه ، ولذا فقد أخذ التقهقر شـكلا عشوائيا ، ولم يجد بعض الجنود المغول الا تسلق رؤوس الجبال(١١٥) المجاورة هربا من القتل ، بينما (اعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الموقعة ، فاحدقت بهم العساكر (المصرية) ، وما برحوا حتى افنوهم قتلا ونجا من نجا(١١٦) • وأضطر فوج من خيالة المغول ، الى الاختفاء فى مزرعة للقصب ، بالقرب من ساحة القتال ، فما كان من قطز الا أن أمر جنوده (بأن يضرموا فيها النار ، وأحرقوهم جميعا)(١١٧) •

وما أن حل عصر ذلك اليوم ، حتى انتهت كـل أشكال مقاومة من تبقى من أفراد الجيش المغولى ، فتم أسرهم ، وأعلن اندحار المغول ، وانتصار الجيش المصرى انتصارا ساحقا(١١٨) •

الصفحة الثالثة : المطاردة :

(أ) **الأهـداف :** استثمار الفوز بعدم فتح المجال لمـا تبقى من الجيش المغولى لاعادة تنظيمه من جديد• (٢) اغتنام فرصة تشتت افراد

الجيش المغولى لابادتهم. (٣) المسارعة الى تحرير سائر بلاد الشام ، من أجل قطع الطريق على هولاكو ان هو أراد ارسال أى تعزيزات جديدة لقواته فى المدن الشامية. (٤) تشجيع سكان المدن والفلاحين على الثورة على سلطات الاحتلال المغولى ودفعهم لشن ما يشبه أن يكون (حرب أنصار) ضد فلول الجيش المغولى ، وأية قواعد له(١١٩) .

(ب) **سير القتال :** (١) بعد توقف القتال فى عين جالوت ، تقدم الجيش المصرى بقيادة قطز ، باتجاه مدينة بيسان(١٢٠) ، وكانت فلول جيش المغول قد وصلتها بعد اندحارها فى المعركة ، ومن الراجح أن تكون ثمة قوات مغولية كبيرة قد وجدت بها قبل المعركة أصلا . وبينما كانت هذه القوات تحاول اعادة تنظيمها من جديد ، بادأها الجيش المصرى بسرعة فى تعرض كبير وصف بأنه (أعظم من الأول)(١٢١) ، الا أن معلوماتنا عنه جاءت قليلة جدا ، ويظهر أن الجيش المغولى حقق تحسنا ملحوظا فى موقفه فى الشطر الأول من القتال (حتى تزلزل المسلمون زلزالا شديدا)(١٢٢) ، الا أن الجيش المصرى عاد فشن تعرضا مقابلا عنيفا قلب فيه الموقف لصالحه تماما ، فهزم المغول (وقتل أكابرهم وعدة منهم). (٢) تقدم قطز بعد بيسان ، سالكا الطريق المحاذى لساحل طبرية الغربى ثم عبر نهر الأردن ، ليصل الى دمشق فى (٤ شوال ٦٥٨هـ/١٣ سبتمبر ١٢٦٠م) ، وكانت ثورة شعبية عارمة ، قد طهرت المدينة من السلطة المغولية منذ خمسة أيام أثر وصول أنباء هزيمة المغول فى عين جالوت ، فوطد قطز الأمن والاستقرار فيها ، وشرع بالاعداد للصفحة الثالثة والأخيرة ، من صفحات المعركة وهى طرد المغول من بلاد الشام والجزيرة نهائيا. (٣) وفى دمشق افرز قطز فرقة من الخيالة بقيادة فائده ركن الدين بيبرس ، فتقدم هذا بسرعة حتى وصل الى حمص ، حيث شن هناك تعرضا على حاميتها المغولية، فقتل فيه ، معظم أفرادها، وأسر آخرين ، وفعل مثل ذلك فى حامية حلب ، مما دفع المغول الباقين بالفرار باتجاه ساحل البحر المتوسط الا أن الأنصار هناك قبضوا عليهم، (فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا)، على حد قول المقريزى(١٢٣) (٤) حاولت بعض الحاميات المغولية ، فى اقليم الجزيرة أن تعيد الاستيلاء على حلب، بعد نحو شهرين من انتهاء معركة عين جالوت، الا أن

أميرا حمص وحماه (ويتبعان الادارة المركـــزية فى القاهرة) استطاعا دحر التعرض المغولى قرب حمص(١٢٤) ، فاستقرت الأوضاع الناجمة عن معركة عين جالوت ، وجرى دفع المغول الى شرق الفرات(١٢٥) .

نتائج موقعة عين جالوت :

من الثابت تاريخيا أن موقعة عين جالوت احدى المعارك الفاصلة فى العصور الوسطى ، ولها آثارها ونتائجها المتعددة فى التاريخ. (١) من أولى النتائج الفورية لانتصار المسلمين فى تلك المعركة ، أن توقف الزحف المغولى وانحسر ، وانكمش بفضل التضحيات التى بذلها المسلمون فى ذلك الحين ضد عدو متحجر القلب متعاون مع النصارى من أجل القضاء على المسلمين . وبالرغم من مقتل قائد الجيش المغولى فى ساحة الوغى، فان هولاكو حاول ، أن يخوض معركة أخرى جديدة ، غير أن الظروف كانت قد تغيرت ونعم المسلمون بثمار الانتصار فى معركة عين جالوت الفاصلة .

٢ — من المعـــروف أن كتبوغا قائد الجيش المغـــولى الذى قتـــله المسلمون فى معركة عين جالوت الفاصلة كان نصرانيا . وانه يجعل الكلمة العليا للنصارى فى مدينة دمشق قبيل معركة عين جالوت ، وأن النصارى فى دمشق طغوا وبغوا على المسلمين ، حتى أنهم حولوا أحد المساجد فى دمشق الى كنيسة . وللقارىء الكريم أن يتصور مدى ما يمكن أن يحدث لو تم النصر للمغول فى عين جالوت(١٢٦) .

ويعترف مؤرخ نصرانى بذلك فيقول : « ما أحـــرزه المماليك من انتصار ، أنقذ الاسلام من أخطر تهديد تعرض له . فلو أن المغول توغلوا الى داخل مصر ، لما بقى للمسلمين فى العالم دولة كبيرة ، شرقى بلاد المغرب . ومع أن المسلمين فى آسيا ، كانوا من وفرة العدد ، ما يمنع من استئصال شأفتهم ، فانهم لم يعودوا يؤلفون العنصر الحاكم . ولو انتصر كتبوغا النصرانى ، لازداد عطف المغول على النصارى ، ولأصبح للنصارى فى آسيا السلطة لأول مرة منذ سيادة النحل الكبيرة فى العصر السابق على الاسلام . على أنه من العبث أن نفكر فى الأمور التى قـــد تحدث وقتئذ . فليس للمؤرخ الا أن يروى ما حدث فعلا »(١٢٧) .

٣ ــ إتاح انتصار المسلمين على المغــول فى عين جالوت الفرصــة لاعادة الوحدة السياسية بين مصر والشام ، بعد أن شهدت الساحة السياسية حالة من الضعف ، والتفكك ، والتنازع بالشام بين أبناء صلاح الدين ، مما أدى الى تمزيق أربطة الوحدة التى بذل من أجلها كل من نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى الكثير من أجــل قيامها ، والتى كانت مطلبا أساسيا لمواجهة التحديات التى جابهت المســلمين أمام عــدوان النصارى بالغرب الأوربى • وهــكذا ضاعت هيبة البيت الأيوبى نظــرا لتقاعسهم عن التصدى للمغول ، وعزوفهم عن الجهاد ، بل أن الأمر قــد وصل الى حد تواطؤ بعض أبناء البيت الأيوبى مع المغول ، واشتراكهم معهم فى معركة عين جالوت ضد اخوانهم المسلمين • وبذلك لم يعد لبنى أيوب أى حق شرعى فى الملك وجعلهم يبدون فى نظــر المعاصرين فى صورة القوة المتداعية التى لم تعد جديرة بحكم المسلمين(١٢٨) • ويؤيد هذا الرأى مؤرخ نصرانى ذاكرا أن تخاذل ملوك الأيوبيين أمام المغول واستسلامهم ، وفرارهم أمام ذلك الخطر جــاء بمثابة تنازل منهم عن ملكهم بعد أن عجزوا عن الدفاع عن ذلك الملك(١٢٩) • ويؤكد على هذا الرأى مؤرخ نصرانى آخــر معــربا بأن الأمر الذى لاشك فيه أن معركة عين جالوت ، جعلت سلطنة المماليك بمصر القــوة الأساسية فى الشرق الأدنى، فى القرنين التاليين، الى أن قامت الامبراطورية العثمانية(١٣٠) •

٤ ــ أفادت معــركة عين جالوت العــرب ، اذ علمتهم درســا فى التكاتف ، والتعاون ضد خطر المغول ، الذى ظهر أكثر من مرة واشتدت وطأة المغول على الشام ، لذلك تعلم العرب المسارعة الى تحصين أنفسهم بالتضامن ، والسير قدما فى سبيل الجهــاد ، وبذلك تمكنوا من تحرير ديارهم من المغول • وهكذا دافع العرب عن مصر والشام ، وخلصت العالم الأوربى ، والمدنية الأوربية من شر لم يكن لأحد من ملوك أوربا وقتئذ طاقة على دفعه •

وهكذا يمكن القول بأن انتصار المسلمين فى موقعة عين جالوت ، وقف حائلا دون غزو المغول لأوربا ، وبهذا جعل أهلها يدركون أن أبناء الشرق العربى قادرون على حماية أنفسهم ، وحماية الحضارة الانسانية ضد جحافل الهمجية ، والوحشية ، والفوضى •

(مصر قاهرة المغول) .

٥ ـ امتدت نتائج معركة عين جالوت الى الشـــعب الايرانى الذى تحمل مرارة الغزو المغولى ، وتمكن هذا الشعب من الصمود أمام الاعيب النصارى ، وبذلك عادت مراكز الصدارة والزعامة للمســـلمين فى دولة المغول بايران ، ونجح الشعب الايرانى فى نشر تعاليم الاسلام بين المغول، وأصبح الاسلام دينا رسميا لدولة المغول فى ايران . هذا بالاضافة الى ان ازدياد قوة العنصر الاسلامى ، واضعاف العنصر النصرانى ، شجع المغول فى غرب آسيا على اعتناق الاسلام ، وعجلت هذه المعركة بزوال الامارات التى أقامها الصليبيون(١٣١) .

٦ ـ وتوطدت العلاقات بين الحكام المغول الذين اعتنقوا الاسلام فى القبجاق ، وبين سلاطين المماليك فى مصر ، وساعد ذلك على انتشـار الاسلام بين سكان تلك المناطق . وتوثقت أواصر الصداقة بين كبير القبيلة الذهبية فى القبجاق وهو « بركة بن جوجى بن جنكيزخان » ، واستقبل بركة عدة سفارات من قبل السلطان المملوكى فى مصر ، ولم يكن الخان وحده هو المسلم ، بل كان نساؤه ورجال حاشيته مسلمين . وكان لكل سيدة ولكل أمير امام ومؤذن . وكانت مدارس تحفيظ القـــرآن الكريم للصبيان كثيرة . وقد تزوج «بركة» ابنة السلطان بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) . ومن هذا الزواج ولد أول ابن لبركة ، وهو الملك الســـعيد خان محمـد المسمى فى الوقت نفسه ناصر الدين بركة خان(١٣٢) .

٧ ـ منحت معركة عين جالوت مصر مركـــــز الزعامة فى المشرق الاسلامى ، ونظرت اليها الدول فى المشرق نظرة تقدير واحترام ، ولاسيما أن جهودها الفعالة عملت على كسر شوكة كل من العدو الصليبى والعدو المغـــولى(١٣٣) . وأكد على ذلك مؤرخ نصرانى حين قال : « وجـــد المغول حينما أغاروا على سورية فى النصف الاخير من القرن الثالث عشر فى مقاومة المماليك وشجاعتهم حاجزا يتعذر اقتحام ، وانضمت عدة قبائل عربية الى الجيوش المصرية ، فســاعدتها على نيــل النصر . ولم يتردد بيبرس ، الذى هو أشهر ملوك المماليك البحرية فى الظهور بمظهر المدافع عن الاسلام ، على حين لم يفكر أمير بآسيا فى النهوض بهـــذا العبء . وكان الظاهر سياسيا محنكا ، كما كان قائدا ممتازا »(١٣٤) .

٨ ـ أصبحت مصر مركز اشعاع للثقافة العربية والاسلامية ، واكتسبت القاهرة مكانة ممتازة من الناحية الأدبية الى جانب مكانتها السياسية ، لأن القاهرة كانت مكانا آمنا ، هرع اليه العلماء والأدباء ، حيث وجدوا التشجيع والتكريم ، مما حفزهم ذلك على التاليف والتدوين . ذلك لأن القاهرة سلمت من التخريب والتدمير ، الذى تعرضت له بغداد على يد هولاكو(١٣٥) .

مجمل الحوادث التاريخية للمعركة

(٦٥٨هـ/١٢٦٠م)

الأحـد : ١٤ شعبان/٢٥ يوليو

قرار مجلس الحرب فى القاهرة ـ قبول المعركة والاعلان عنه رسميا بقتل رسل المغول ٠

الاثنين : ١٥ شعبان/٢٦ يوليو

مغادرة الجيش المصرى للقاهرة ٠

الثلاثاء : ١٦ شعبان/٢٧ يوليو

تقدم الجيش المصرى باتجاه الصالحية ٠

الأربعاء : ١٧ شعبان/٢٨ يوليو

وصول الجيش المصرى الى الصالحية وتحشده فيها ٠

الأحـد : ٢٨ شعبان/٨ أغسطس

مغادرة الجيش المصرى الصالحية باتجاه فلسطين ٠

الاثنين : ٢٩ شعبان/٩ أغسطس

افراز مقدمة الجيش المصرى بقيادة بيبرس وصدور الأوامر اليه بالتعرض على غزة ٠

الثلاثاء : ١ رمضان/١٠ أغسطس

تقدم بيبرس عبر شبه جزيرة سيناء ٠

الأربعاء : ٢ رمضان/١١ اغسطس

وصول نبأ مغادرة الجيش المصرى القاهرة الى القيادة المغولية٠

الجمعة : ٥ رمضان/١٤ اغسطس

تعرض بيبرس على غزة واخلاء المغول لها وانسحابهم منها ٠

السبت : ٦ رمضان/١٥ أغسطس
وصول الجيش المصرى بقيادة قطز الى غزة .

الأحد : ٧ رمضان/١٦ أغسطس
الاستراحة فى غزة .

الاثنين : ٨ رمضان/١٧ أغسطس
مغادرة الجيش المصرى غزة والتقدم نحو عكا .

الجمعة : ١٨ رمضان/٢٧ أغسطس
وصول الجيش المصرى ضواحى عكا .

السبت : ١٩ رمضان/٢٨ أغسطس
بدء المفاوضات بين الجانبين المصرى والصليبيى فى عكا للحصول على حياد الجانب الآخر .

الأربعاء : ٢٣ رمضان/١ سبتمبر
وصول نبأ تقدم الجيش المغولى من دمشق الى أسماع القيادة المصرية ومغادرة الجيش المصرى ضواحى عكا باتجاه عين جالوت .

الخميس : ٢٤ رمضان/٢سبتمبر
وصول الجيش المصرى الى عين جالوت .

الجمعة : ٢٥ رمضان/٣ سبتمبر
معركة عين جالوت .

السبت : ٢٦ رمضان/٤ سبتمبر
انسحاب فلول المغول الى بيسان .

الأحد : ٢٧ رمضان/٥ سبتمبر
وصول أنباء النصر فى عين جالوت الى دمشق وتعرض الجيش المصرى على مواقع الجيش المغولى فى بيسان/ومعركة بيسان.

الاثنين : ٢٨ رمضان/٦ سبتمبر

اندلاع الثورة فى دمشق وطرد أو تصفية المغول منها .

الثلاثاء : ٢٩ رمضان/٧ سبتمبر

وصول مرسوم من الملك قطز الى أهل دمشق يعلمهم رسميا بنتائج معركة عين جالوت .

الأربعاء : ٣٠ رمضان/٨ سبتمبر

وصول الجيش المصرى ضواحى دمشق وتعسكره فيها .

الخميس : ١ شوال/٩ سبتمبر

افراز مقدمة الجيش المصرى بقيادة بيبرس وتقدمه شمالا لمطاردة فلول المغول فى بلاد الشام .

الأحد : ٤ شوال/١٢ سبتمبر

دخول الجيش المصرى دمشق والاعلان عن تحرير بلاد الشام من الاحتلال المغولى .

الحـــواشى

الفصـــل الأول

١ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧١ ٠
٢ ـ السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشا ، ص ١١٤ ٠
٣ ـ المصدر السابق ، ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٧ ٠
٥ ـ ابرار كريم الدين : من هم التتـــار ؟ ترجمة د٠ رشـــيده رحيم الصبروتى ، سلسلة الألف كتاب الثانى ١٤٧ ، ص ٢٦ ٠
٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠
٧ ـ السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشا ، ص ١٣٥ ٠
٨ ـ النســوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٧١ ـ ٧٣ ٠
٩ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٠ ـ ٧١ ٠
١٠ ـ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٠٩ ٠
١١ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢١ ٠
١٢ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٤ ٠
١٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٠ ـ ٥١ ٠
١٤ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ٠
١٥ ـ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٦ ٠
١٦ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٢٥ ٠
١٧ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٣ ٠
١٨ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٠ ٠
١٩ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣١٢ ٠
٢٠ ـ المقـــريزى : الخطط ، المجـــلد الثالث ، الجـــزء الأول ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ٠
٢١ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ٠
٢٢ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٣٤ ٠
٢٣ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٣ ٠

٢٤ - بدر محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٨ .

٢٥ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ٣٣٥ .

٢٦ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٧ .

٢٧ - المصدر السابق ، ص ٦٩ .

٢٨ - العرينى : المغول ، ص ٤٠ ثم انظر
Howorth : History of the Mongols, Vol. I.p.46.

٢٩ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٩ .

٣٠ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٢٧ .

٣١ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٢٧ .

٣٢ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشسا ، ص ١٢٩ ؛
النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٩ ، حاشية ٤ .

٣٣ - القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

34. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.46.

35. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.46.

٣٦ - عكاشة : اعصار فى الشرق : جنكيزخان ، ص ٢٤ .

٣٧ - العرينى : المغول فى التاريخ ، ص ٤٥ - ٤٦ ثم أنظر :
Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.47.

٣٨ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٤٠ - ٤١ .

٣٩ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٩ .

40. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.47.

٤١ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٣ .

42. Howorth, Op. Cit. Vol. I. pp. 20-27.

٤٣ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٠ - ٢٠ .

٤٤ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٤٩ .

٤٥ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٩ .

٤٦ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٤٥ .

٤٧ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ٢٨ - ٢٩ .

٤٨ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٤ .

٤٩ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٠ .

٥٠ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٤ ـ ١٥ .
٥١ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٣٢ .
٥٢ ـ العريني : المغـول ، ص ٤٦ ؛ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٣ .
٥٣ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٣٣ .
54. Howorth, Op.Cit. Vol. I. p.48.
٥٥ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٣٦ .
٥٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٨ .
٥٧ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٤٠ .
٥٨ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٣٩ .
٥٩ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٤٣ .
٦٠ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٦ .
٦١ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢٤ .
٦٢ ـ المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٦٣ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٢٠ ـ ٢٢ .
٦٤ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٨ ـ ١٩ .
٦٥ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٤٥ .
٦٦ ـ عكاشة : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٤٧ .
٦٧ ـ المصدر السابق ، ص ٥٠ .
٦٨ ـ السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشـاى ، ص ١٣١ ؛ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢٨ .
69. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.43.
٧٠ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٤ .
٧١ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .
٧٢ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٦ .
٧٣ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٤ .
٧٤ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٥٣ .
٧٥ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢٨ .
٧٦ ـ كورخان : لقب أتخذه ملوك دولة الخطا لانفسهم ، ومعناه خان

خان أى ملك الملوك • أنظر النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٤٣ ، حاشية ٤ •

77. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.48.

٧٨ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٧٠ •

٧٩ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٥٨ •

٨٠ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٤ •

٨١ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣٠٦ •

٨٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٦٥ •

٨٣ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٥ •

84. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.62.

٨٥ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٨٣ ـ ٨٤ •

٨٦ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٢ •

٨٧ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٢٩ •

٨٨ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٦ ـ ٧٧ •

٨٩ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ـ جنكيزخان ، ص ٨٤ •

90. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.62.

٩١ ـ النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٨ ، حاشية ٤ •

٩٢ ـ العدوى : العرب والتتار ، ص ٣٠ •

٩٣ ـ بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٨ •

٩٤ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٨٦ •

٩٥ ـ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٦٩ •

٩٦ ـ عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٨٦ •

٩٧ ـ السباعى عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاى ، ص١٣٩ ـ ١٤٠ ؛
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٤ •

٩٨ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣٠٥ •

٩٩ ـ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١١ •

١٠٠ ـ الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٣٨ •

١٠١ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٥ •

١٠٢ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٣ .
١٠٣ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٤٠ .
١٠٤ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشا ، ص ٢٣٠ .
105. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.49.
١٠٦ - القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣١٠ .
١٠٧ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٣٢ .
١٠٨ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٩١ - ٩٣ .
١٠٩ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٧٢ .
١١٠ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .
١١١ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاى ، ص ١٤٧ .
١١٢ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٦٠ ؛ السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاى ، ص ١٤٨ .
١١٣ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٥ .
١١٤ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٤٠ .
١١٥ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٣٤ .
١١٦ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص٧٣ .
١١٧ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٤٣ .
١١٨ - القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ٤ ، ص ٣١٠ - ٣١١ ؛ العرينى : المغول ، ص ٦٣ - ٦٤ .
١١٩ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .
١٢٠ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاى ، ص ٢٣١
١٢١ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٩٣ .
١٢٢ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٣ .
١٢٣ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاى ، ص٢٣٧ .
١٢٤ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٧٣ .
١٢٥ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٣٨ - ٣٩ .

حواشي الفصـــل الثـانى

١ ـ العرينى : المغول ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
٢ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٧ .
٣ ـ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤١١ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٢٨ .
٤ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٨ .
٥ ـ العرينى : المغول ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
6. **Grousset : L'Empire des Steppes, p.434.**
٧ ـ ابن الوردى : تتمة المختصر فى اخبار البشر ، حـ٢ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٢٩ .
٨ ـ العرينى : المغول ، ص ٢٤٧ .
٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .
١٠ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٤٩ .
١١ ـ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ .
١٢ ـ أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، حـ٣ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
١٣ ـ رشيد الدين : جامع التواريخ ،م٢ ، حـ١ ، الترجمة العربية ، ص ٣٠٨ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٥١ .
١٤ ـ الذهبى : دول الاسلام ، حـ٢ ، ص ١٢٥ ؛ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤٢٥ ؛ ابن تغـرى بردى : النجـــوم الزهراة ، حـ ٧ ، ص ٨٠ .
١٥ ـ العرينى : المغول ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ؛ الصياد : المغول فى التاريخ، حـ١ ، ص ٢٩٧ .
١٦ ـ الهمذانى : جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، مجلد ٢ ، قسم١، ص ٢٣٤ ؛ رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ١٢ .
١٧ ـ الصلت : بلدة تقابل أريحا على غور الأردن جنـوبى عجلون ، أنظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٥ .

١٨ - بركة زيزا : بركة عظيمة عند قـــرية زيزاء ، من قرى البلقاء ، أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، مادة زيزاء ، والبلقاء كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ، ووادى القرى قصبتها عمان . (المصدر نفسه : مادة البلقاء) .

١٩ - بيت جبريل : ويقال جبرين : بلدة بين بيت المقدس وغزة ، وهى أقرب الى الأخيرة منهما أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٧٧٦/١، ومراصد الأطلاع ١٨٥/١ .

٢٠ - اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، حـ١ ، ص ٣٥١ ؛ والكتبى : عيون التواريخ ، حـ٢٠ ، ص ٢٢٤ .

٢١ - الهمذانى : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، حـ١ ، ص٣١٠ ؛ ابن أيبك: الدرة الزكية ، ص ٤٧ - ٤٨ ؛ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٢٧ - ٤٣٩ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١،ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

٢٢ - رنيسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، الترجمة العربية ، حـ٣ ، ص ٥٣٢ .

٢٣ - على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ،ص٢٢.

٢٤ - الصياد : المغول فى التاريخ ، حـ١ ، ص ٣٠٠ .

٢٥ - المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

٢٦ - هو صلاح الدين يوسف بن العـزيز محمـــد بن الظاهر غازى بن السلطان صـــلاح الدين يوسف بن ايوب ، وكان ورث الحكم فى حلب عن أبيه ١٢٣٦م ، وكان عمره ست سنوات يوم ذلك ، وأخذ دمشق ١٢٥٠م .أنظر : المقريزى : السلوك، حـ١ ، ق٢ ،ص٣٦٦ .

٢٧ - عاشور : العلاقات السياســية بين المماليك والمغـــول فى الدولة المملوكية الأولى ، ص ٣٦ .

٢٨ - أبو الفداء : المختصر فى أخبـــار البشر ، حـ٣ ، ص ١٩٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ١ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

٢٩ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص ٢١٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، حـ ٧ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

٣٠ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤١٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٢٧ ، ص ٧٣ .

٣١ — عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى ، ص ٣٩ .

٣٢ — يقال أن بيبرس طلب من الناصر عندما كان مقيما عنده ، أن يقدمه أو يقدم غيره على أربعة آلاف فارس ليتوجه بهم الى شط الفرات ليمنع المغول من عبوره ، فلم يمكنه الناصر من ذلك ، ففارقه وقدم الى مصر . أنظر : الكتبى : فوات الوفيات ، حـ١ ، ص ٨٦ ، ويقال كذلك أن بيبرس سب الوزير زين الدين الحافظى حينما أشار على الملك الناصر بعدم مقاتلة المغول ، وصاح به قائلا : « أنتم سبب هلاك المسلمين » . أنظر : السلوك ، حـ١ ، ص ٤١٩ .

٣٣ — كانت الوزارة بجوار القصر الخلافى الفاطمى المعروف بالقصر الشرقى الكبير ، بناها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ويقال أن بدر الجمالى نفسه هو الذى بناها . وكان يسكنها وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الأفضل الى أن زالت الدولة ، وكانت تعرف بالدار الأفضلية . ثم استقر بها صلاح الدين الأيوبى ، وابنه العزيز ثم الملك العادل وصاروا يسمونها بالدار السلطانية . وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن قلعة الجبل الملك الكامل بن العادل الذى جعلها منزلا للرسل . فلما ولى قطز ملك مصر ، وحضر اليه المماليك البحرية من الشام خرج قطز للقائهم وأنزل الأمير بيبرس بدار الوزارة . أنظر المقريزى : الخطط ، حـ٢ ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ .

٣٤ — الكتبى : فوات الوفيات ، حـ١ ، ص ٨٦ ؛ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤١٩ — ٤٢٠ .

٣٥ — الهمذانى : جامع التواريخ ، م٢ ، حـ١ ؛ ص ٢١١ — ٣١٣ .

٣٦ — التوسيط هو أن يضرب الشخص بالسيف ضربة تقطعه نصفين وكان هذا النوع من الاعدام شائعا بمصر فى العصور الوسطى .

٣٧ — المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٢٩ .

٣٨ — يتضح ذلك من ادخال قطز خيار (الجلاء عن الوطن) ضمن قائمة الخيارات التى قام بتنفيذها على أساس أن لا مكان يمكن اللجوء اليه . أنظر الهمذانى : جامع التواريخ ، م٢ ، حـ١ ، ص ٣١٢ .

٣٩ - يقول ابن تغرى بردى أنهم (أجمعوا على حفظ مصر لا غير) أنظر : النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص ٧٨ ٠

٤٠ - تشير الرواية المغولية (الهمذانى ص ٣١٢) الى أن عدد أولئك الرسل هو أربعون ، بينما تشير الرواية المصرية الى أن عددهم خمسة ، وسط واحد بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر باب زويـــلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية ، وأما الخامس فقد أبقى عليه ، وضم الى جملة المماليك السلطانية ٠ انظر المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٩ ٠

٤١ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٠ ٠

٤٢ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٩ ٠

٤٣ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤٢٩ ٠

٤٤ - المقريزى : المصدر السابق والصفحة ٠

٤٥ - نفس المصدر ، ص ٤٣٠ ٠

٤٦ - يشير ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ٩٦ الى بعض تفاصيل تلك الموارد : وهى ١/١٢ من أجرة الأملاك والأوقاف ، ١/١٢ من أجرة الغيطان والسواقى ، ١/٤٠ زكاة معجلة من الناس والتجار ، ¼ من أموال الترك الأهليـــة ، أى الترك المستوطنين فى مصر ٠ وكانوا يمثلون الطبقة الثرية آنذاك ، ودينار واحد بدل نقدى عن كل رجل وامرأة فى العاصمة ٠

٤٧ - ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ٩٧ ٠

٤٨ - فى تعليمات أصدرها قطز الى صاحب حماه ، وهو فى الصالحية حيث يحتشد الجيش المصرى جـــاء ما يأتى (لا تحتفل فى مـد سماط ، بل اجعل كل واحد من أصحابك يقطر على قطعة لحم فى صولفة (مخلاة) ، أنظر : ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، حـ٧ ، ص ٧٨ ٠

٤٩ - السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، حـ٥ ، ص ٨٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص ٣٩٢ ٠

٥٠ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ ؛ ابن تغرى

بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٧ ، ص ٧٢ — ٧٣ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ٢١ ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص ٣٩٣ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ٢ ، ص ٣٨ ٠

٥١ — ذكر ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ٩٦ (أن الملك المظفر قطز نادى فى القاهرة بأن النفير عام الى الغزو فى سبيل الله)٠

٥٢ — المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٤٣٠ ؛ الهمذانى : جامع التواريخ ، م٢ ، حـ١ ، ص ٣١٣ ٠

٥٣ — ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٧ ، ص ٧٧ ٠

٥٤ — ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، م٥ ، ق١ ، ص٨٢٠٠

٥٥ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٤ ٠

٥٦ — ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٠ ٠

٥٧ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٦ ٠

٥٨ — ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٧ ، ص ٧٧ ٠

٥٩ — رتسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د٠ السيد البـاز العرينى ، حـ٣ ، ص ٥٣٦ ، ومع أن ابن العبرى أرمنى ومعاصر للحوادث التاريخية فانه لم ينوه بوجود قوات من بنى قومه الى جانب المغول ، ويبدو لنا أن فى الأمر تقليلا متعمدا لحجم الجيش المغولى من أجل تبرير خسارته فيما بعد ، وتهوين أمر ما أحرزه الجيش المصرى من انتصارات ٠ وهو فرض يبدو معقولا اذا علمنا بولاء ابن العبرى الأرمنى للمغول وتعاونه معهم ، وما تتضح به مؤلفاته ، وخاصة تاريخه السريانى ، من روح كشف بالعرب لما تقلبهم من تنكيل هولاكو وجنده ٠

٦٠ — كان جنكيزخان قد أنفذ مع سنتاى نوين ٣٠٫٠٠٠ مقاتل عند غزوه سمرقند ، انظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٤ ٠

٦١ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٦ — ٢٧ ٠

٦٢ — ان كتبغا من قبيلة النايمان ، التى تزوج منهـا هولاكو ، وهو كمعظم أفراد قبيلته نسطورى المذهب ٠

٦٣ — الكتبى : عيـون التواريخ ، تحقيـق فيصل السـامر ، ونبيله عبد المنعم ، حـ٢٠ ، ص ٢٤٣ ٠

٦٤ — ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ .
٦٥ — المهتار : التاريخ العسكرى ، ٤٧٠ ق.م — ١٩٤٥م ، ص ١٩٢ .
٦٦ — ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ٩٦ .
٦٧ — ابو شامه : ذيل الروضتين ، ص ٢٠٧ .
٦٨ — طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ص ١٤٨ — ١٥٨ .
٦٩ — المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٢٩ .
٧٠ — قال أبو شامه (فخرج عساكر أهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٧ .
٧١ — المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤١١ .
٧٢ — ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .
٧٣ — عماره : معارك العرب ضد الغزاة ، ص ١٣٠ .
٧٤ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣١ .
٧٥ — المصدر السابق ، ص ٣٢ .
٧٦ — الذهبى : دول الاسلام ، حـ٢ ، ص ١٢٣ .
٧٧ — الكتبى : عيون التواريخ ، حـ٢ ، ص ٢٤١ ؛ وفوات الوفيات ، حـ١ ، ص ٢٠١ ؛ ووصفه ابن حبيب : درة الاسلاك فى دولة الأتراك ، بقوله (ملك ، مقدام ، أسد ضرغام ، حسن الخصال ، نافذ السهام ، ماذى النصال ، مبادر الى الطاعة ، مكبر من الصلاة فى الجماعة ، ثابر على جهاد الأعداء ، أشد مثابرة ، وطرد عسكر التتار من الشام ، وكسرهم على عين جالوت كسرة، جبر بها الاسلام حوادث ٦٥٧هـ .
٧٨ — عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ١٦ — ٢٢ .
٧٩ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٣ .
٨٠ — الهمذانى : جامع التواريخ ، ٣١٣ .
٨١ — المقريزى : المواعظ والاعتبار ، حـ١ ، ص ٢٢٧ .
٨٢ — المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٢٩ .

٨٣ ـ ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ١ ، ص ٩٦ ٠

٨٤ ـ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٠ ٠

٨٥ ـ يذكر ابن كثير أن قطز (بادرهم قبل أن يبادروه ، وبرز اليهم ، واقدم عليهم قبل ان يقدموا عليه) ٠ أنظر البـــداية والنهاية ، حـ ١٣ ، ص ٢٢٠ ٠

٨٦ ـ رنسيمان : الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٥ ٠

٨٧ ـ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٠ ٠

٨٨ ـ الهمذانى : جامع التواريخ ، ص ٣١٣ ٠

٨٩ ـ رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٧ ٠

٩٠ ـ الهمذانى : جامع التواريخ ، ص ٣١٣ ٠

٩١ ـ المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٠ ٠

٩٢ ـ رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٨ ٠

٩٣ ـ رنيسمان : الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٥ ٠

٩٤ ـ وصف الهمذانى حالة كتبغا عند وصول انباء تحرير غـــزة اليه (كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ٠ وأقبل معتمدا الى اقصى حد على قوته وسطوته ٠ أنظر : كتابه ، جامع التواريخ ، ص ٣١٣ ٠

٩٥ ـ رنسيمان : الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٤ ٠

٩٦ ـ قال اليونينى : (ذيل مرآة الزمان) ، حـ١ ، ص ٣٦٥ (وبعث الملك المظفر الامير ركن الدين بيـــبرس البندقدارى فى عســـكر ليتجسس خبر التتر) ٠

٩٧ ـ ياقوت : معجم البلدان ، حـ٣ ، ص ٧٦٠ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، حـ٢ ، ص٤٠٣ ٠

٩٨ ـ يشير أطلس اسرائيل Atlas of Isreal ، المطبوع فى الكيان الصهيونى ١٩٧٠م الى خـرائب بلـــدة عين جـــالوت ، ولكنه لا يسميها باسمها التاريخى ، ويحرف الصهاينة اسم الموضع الى عين حارود En Harod بالحاء المهملة ، زاعمين أنها Harod أو Harodite ، الواردة فى التوراة مع أنه ليس ثمة دليل ، أو قرينة ، تدل على بلدة حارود التورانية مع أنه ليس ثمة أى دليل ،

أو ايجاد أصول عبرانية وهمية للمدن العربية فى فلسطين امـــر معروف ، ولا يخفى دوافعه ويلاحظ أن واضعى Atlas of Israel قد أسقطوا اسم (عين جالوت) من الخرائط التاريخية عن الفترة ذاتها ، ولا نشك فى أن اسقاطها كان متعمـــدا لأنها تذكر باروع انتصار حاسم حققه العرب ، والمصريون منهـــم بخاصة ، على أعدائهم فى فلسطين . (أنظر رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٠) .

٩٩ — ابن خلدون : العبر م٥ ق١ ، ص ٨٢٠ .

١٠٠ — أنظر خمار قسطنطين : أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة فى فلسطين حتى ١٩٤٨م ، ص ٦٠ ، ١٧٦ ؛ المؤلف نفسه : موسوعة فلسطين الجغرافية ، ص ١٦ ، ١٨٨ . وقد أسس الصهاينة عنـــد عين جالوت ١٩٢١ ، ١٩٢٩م مستعمرتين (كيبوتزين) باسم (عين حارود) . أنظر الصائغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

١٠١ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤١ .

١٠٢ — نقل ابن أيبك الدوادارى عن الصارم أزبك ، وكان مشاركا فى المعركة بجانب المغول ، ومتفقا مع المصريين سرا ، أن هولاكو شكا اليه قلة خبرة أولاده (أى قادة جيشه) الذين سيرهم الى مصر بالبلاد ، بل انه طلب اليه أن يدلهم ، لأنه أخبر ببلاده . أنظر : كنز الدرر وجامع الغرر ، حـ٨ ، تحقيق أولرخ هارمان ، ص ٥٦ — ٥٧ .

١٠٣ — انفرد ابن العبرى فى تاريخ الدول السريانى ، مجـــلة الشـــرق ١٩٥٦ ، ص ١٣٨ بالاشارة الى ان المعركة دارت (تجاه جبل تابور) . وهى اشارة مهمة ، لأن الجبل مازال معروفا بهـــذا الاسم حتى اليوم ، وقد دلنا موقعـــه على طبيعة المناورة التى أجراها الجيش المصرى آنذاك ، وموقعه فى الشمال قليلا من جبل الدحى المذكور . (أنظر رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٢) .

١٠٤ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٣ .

١٠٥ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٤ .

١٠٦ - يشير أنتونى نتنج (العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسـلام) ، ترجمة راشد البراوى ، ص ٣٧٣ ، الى أن بيبرس دحر المغول (بعد أن طبق التكتيك العربى المجرب ، حيث تظاهر بالفرار واستدرجهم الى كمين من النيران القاتلة) .

١٠٧ - المعلومات عن الجناح الأيسر (الميسرة) وحركته متوفرة نوعا ما ، أما الجناح الأيمن فلا اشارة اليه فى حوادث المعركة كلها ، سوى اشارة عامة لكنها مهمة ، أوردها رشـيد الدين (جامع التواريخ ، ص ٣١٤) مفادها أن المغول فوجئوا بالجيش المصرى ينشق عليهم من ثلاث جهات ، واتضح أنه يعنى الميمنة والميسرة والقلب . واذا كانت الروايات المصرية لا تشـير الى الجنـاح الأيمن ، فلأن هذا الجناح لم يدخـل المعـركة الا فى الساعات الأخيرة من نهار ذلك اليوم ، ومن المرجح أن صـورة الجناح الأيسر وهو يتقهقر أمام التعرض المغولى ، (وهو جزء من الخطة المصرية) هى التى بقيت فى أذهان أولئك الرواة فسجلوها . أما الجناح الأيمن فكان متخفيا وراء التل ، وبذلك فلم يتعرض الى ذكره الرواة الذين استقى منهم المؤرخون معلوماتهم ، وثمة اشارة مهمة أوردها صاحب كنز الدرر (ص٥٧) تدل على اهتمام القيادة المصرية بهذا الجناح بصفة خاصة .

١٠٨ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٦ .

١٠٩ - تشير الروايات المصرية (كتاب السلوك للمقريزى ، حـ١ ، ص ٤٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، حـ٧ ، ص ٧٩ ؛ وعيون التواريخ للكتبى ، حـ ٢٠ ، ص ٢٢٧ الى انكسار الجناح المصرى . بينما لا تشير الرواية المغولية (رشيد الدين ص ٣١٤) الى ذلك وانما تذكر أن الجيش المغولى استدرج الى كمين . ومعنى هذا أن انكسار الجناح الأيمن كان مفتعلا ، ومرسوما هـدفه اتمام عملية الاستدراج لا غير ، ولكن بما أن معظم الجناح الأيسر ، وهو الذى يقوده بيبرس ، مكون من عنصر الخيالة ، فلم يكن ممكنا لهذا الجناح التوقف عن الانسحاب ، والبـدء بالتعرض المقابل ، الا اذا عزز بتقويات جديدة ، وهنا يتمثل دور القلب .

١١٠ - تذكر الروايات المصرية التى سبقت الاشارة اليها أن قطز لما رأى انكسار جيشه (أى انسحاب الجناح الأيسر) رمى بخوذته على الأرض

وهتف قائلا (واسلاماه) ثلاث مرات . ثم هجم على العدو بنفسه ، فتبعه سائر القادة والجند . وكان ذلك بداية لانهيار الجيش المغولى كله . ومن المستبعد أن حـــركة كهذه ، وهتافا مهما بلغت قوته ، لقادر ـ وسط ضجيج المعركة ـ أن يصل الى أسماع القادة والجند فى تلك اللحظات الحاسمة ، حتى يبدل سير القتال برمته ، والذى نتصوره أن حـــركة قطز ، وصيحته كانتا علامة متفقا عليها ـ فقد كررها فى معركة تالية مع قادته ، وبعض جنوده . اذا ما أن فعل ذلك (حتى انكسر المغول) . والمعقول أن تلك الاشارة كانت ايعازا بتثبيت الجبهة ، وبدء التعرض المقابل (أنظر : رؤوف : معركة عين جالوت، ص٤٧) .

١١١ ـ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥ .

١١٢ ـ ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

١١٣ ـ تجمع الروايات المصرية (السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٠ ؛ والنجوم الزاهرة ، حـ٧ ، ص ٩٧ ، وعيون التواريخ ، حـ٢٠ ، ص ٢٢٧ ، وابن خلدون ، العبر ، حـ٥ ، ص ٢٤٧ ؛ الذهبى ، دول الاسلام ، حـ٢ ، ص ١٢٣ ؛ ومختصر الدول ، تاريـخ الاســلام ، الورقة ٢٦٣ ؛ وذيل مرآة الزمان ، حـ١ ، ص ٣٦٥) على أن كتبغا لقى مصرعه وهو يقاتل ، وأن قاتله هو الأمير آقوش الشمسى . بينما ينفرد رشيد الدين (جامع التواريخ ٣١٥) بالقــول أن كتبغا (ظل يكافح الف رجل الى أن كبابة جواده فى نهاية الأمر فأسر) ثم حمل بعدها مكبلا الى قطز حيث دار بينهما حوار أثبت فيه القائد المغولى اخلاصه وتفانيه فى خدمة هولاكو ، واستهانته بالموت فى سبيله . والذى نعتقده أن ما نقله رشـــيد الدين عن المصادر المغولية هو ـ فى الواقع ـ الرواية التى أريد بها أن تصل الى أسماع هولاكو (وفى الغالب فان ناقلها هو بيدرا) ، وقد سمعها بالفعل ، وتأثر بموقف قائده ، وصهره كتبغا ، وشمل بعطفه من بقى من عقبه وأعزهم واكرمهم) . انظر : رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٨ .

١١٤ ـ عيون التاريخ ، حـ٢ ، ص ٢٤٣ ، ويذكر ابن العميد (أخبار الأيوبيين ص ١٧٥ ان اسم هذا الابن هو (قطلواقفيش) ، وأنه

أسر معه اخو كتبغا قبجق وزوجته (وجماعة كثيرة من أعيانهم وغنموا منهم غنائم عظيمة .

١١٥ - أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، حـ٤ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ٢ ، ص ٢٩٥ .

١١٦ - الكتبى : عيون التواريخ ، حـ٢ ، ص ٢٢٧ .

١١٧ - رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ٣١٤ .

١١٨ - صبحى عبد الحميد : معارك العرب الحاسمة ، ص ٢٢٢ .

١١٩ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٥٠ .

١٢٠ - تبعد بيسان عن عين جالوت بنحو ١٢ كم .

١٢١ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣١ .

١٢٢ - المصدر نفسه والصفحة . ويلاحظ انه حينما كادت كفة المغول أن ترجح صرخ السلطان نفس صرخته الأولى فى عين جالوت (واسلاماه) ثلاث مرات ، فكانت تلك الصرخات نقطة تحول فى سير القتال لصالح المصريين .

١٢٣ - المقريزى : السلوك ، حـ١ ، ص ٤٣٥ ؛ الكتبى : فوات الوفيات ، حـ١ ، ص ٢٣٦ .

١٢٤ - ابو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢١١ ؛ العرينى ، المغول ، ص ٢٦٦ . وتجدر الاشارة هنا الى أن بيبرس حرص - عندما أصبح سلطانا - على تخليد ذكرى ذلك الانتصار باقامة نصب تذكارى فى الساحة التى تم فيها نصر المسلمين على المغول فى عين جالوت ، وقد أطلق على هذا النصب اسم (مشهد النصر) ، ويعتبر المثل الوحيد للنصب التذكارية فى الاسلام . أنظر : سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٣٣ .

١٢٥ - يحدد أبو شامة ساحة التعرض المصرى بانها (بأرض حمص ... عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه الى قريب الرستن وذلك يوم الجمعة خامس محرم ٦٥٩هـ/١١ ديسمبر ١٢٦٠م . أنظر : ذيل الروضتين ، ص ٢١١ .

١٢٦ ـ السيد الباز العرينى : المغول ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ٠

١٢٧ ـ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ٠

١٢٨ ـ سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٣٦ ٠

129. Grousset : Hist. des Croisades. I.III, p.587.

١٣٠ ـ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٨ ٠

١٣١ ـ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، حـ٣ ، ص ٥٣٨ ٠

١٣٢ ـ بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة د٠ أحمد السعيد سليمان ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ٠

١٣٣ ـ مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ، ص ١٦٨ ٠

١٣٤ ـ سيديو : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، ص٤٩٧ ٠

١٣٥ ـ بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، حـ٢ ، ص ٢٤٢ ؛ والسيد الباز العرينى : المغول ، ص ٢٦٧ ٠

النصــوص التاريخية

١ ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى
٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ

ذكر خبر المصاف(١) الكائن بين السلطان الملك المظفر ومن معه من الجيوش الاسلامية ، وبين جيش التتار على عين جالوت(٢) وانهــــزام التتار وقتل مقدمهم كتبغا نوين ، وما يتصل بذلك من أخبار . كتـــاب « نهاية الأرب فى فنون العرب » الجزء ٢٩ ، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٥ .

لما ملك التتار الممالك الشامية وزالت دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف من الشام ـ كما قدمنا ذكر ذلك ـ راسل كتبغا نوين ، مقدم جيش التتار السلطان الملك المظفر ، وأرسل اليه يطالبه ببذل الطاعة ، وتعبئة الضيافة . فقتل الملك المظفر رسله ، الا صبيا واحـــدا ، فانه استبقاه ، وضمه الى جملة مماليكه .

واستعد للجهاد ، وخرج بعساكر الديار المصرية ، ومن انضم اليه من جيوش الشام ـ الذين فارقوا الملك الناصر ـ ومن حضر اليه من الأمراء البحرية ، والأمراء الشهرزورية ، وغيرهم .

وراسل الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب حمص ـ وكان قد عاد من جهة هولاكو من حلب ـ وفوض اليـــه نيابة السلطنة بالشام أجمع ، وحلب ، وغير ذلك ، والملك السعيد بن الملك العزيز عثمان بن الملك العادل ـ وكان قد أخذ من هولاكو فرمانا بالصبيبة وبانياس(٣) .

---

(١) أى : الموقعة الكبيرة ، أو المهمة .

(٢) عرف ياقوت هذا المكان الذى حصلت فيه الموقعة التاريخية الحاسمة (وقد حدثت بعد عهده) بقوله : « عين جالوت : هىبليدة ، بين بيسان ونابلس ، من أعمال فلسطين » . (معجم البلدان : حـ٦ ، ص ٢٥٤)

(٣) قلعتان بالقرب من دمشق .

وسالهما المظافرة والمعاونة على حرب العدو ، وأن تكون الكلمة واحدة .

فتوجه رسوله ، واجتمع بالملك السعيد ، فسبه وسب من أرسله ، وقال : من هو الذى يوافق هذا الصبى ، أو يدخل فى طاعته أو ينضم اليه ؟! ونحو هذا من الكلام . ففارقه وتوجه الى الملك الأشرف . فخلا الملك الأشرف بالرسول ، وقبل الأرض بين يديه تعظيما لمرسله . وأجلسه مكانه على مرتبته ، وجلس بين يديه ، وسمع رسالته . وقال له : قبل الأرض بين يدى مولانا السلطان الملك المظفر ، وابلغـــه عنى أننى فى طاعته وموافقته ، وامتثال أمره . والحمد للــه الذى اقامه لنصرة هــذا الدين . ووعد أنه ، ان حضر المصاف مع التتار ، انهزم بهم ، الى غير ذلك ، وأعطى الرسول ذهبا جيدا ، واعتذر له .

فعاد الرسول ، وأبلغ الملك المظفر عن كل من الملكين ما قال له ، فعامل كلا منهما ، عند ظفره ، بما نذكره . قال : وجمع السلطان الملك المظفر الأمراء بالصالحية(١) ، واستشارهم : أين يكون لقـــاء العدو ؟ فاشاروا أن يكون بالصالحية وصـــمموا على ذلك . فوافقهم فى رأيهم ظاهرا ، وركب فى صبيحة ليلة المشورة من منزله ، وحرك الكوسات(٢) ، ودخل الرمل . فأنجزت العساكر خلفه ، ولم يتخلف منهم أحد عنه . وسار بعساكره ، وجموعه ، حتى انتهى الى عـــين جالوت — من أرض كنعان(٣) ، بالقرب من بيسان ، مدينة غور الشام .

وأقبل كتبغا نوين بجيوش التتار ، ومن انضم اليه . والتقوا واقتتلوا — وذلك فى يوم الجمعة ، الخامس والعشرين من شـــهر رمضان ، سنة ثمان وخمسين وستمائة . وثبت الملك المظفر أحسن ثبات . حكى بعض من حضر هذه الواقعة قال : كنت خلف السلطان الملك المظفر ، لما التحم القتال ، ووقعت الصدمة الأولى ، فاضطر جناح عسكر السلطان ، وتتعتع طرف منه . فلما رأى الملك المظفر ذلك ، رمى خوذته عن رأسه ، وصاح:

---

(١) بلدة معروفة بمصر ، فى طرف محافظة الشرقية من الشرق .
(٢) الصنوج التى تدق ، ايذانا بمسير ركب السلطان ، كما تقدم .
(٣) فلسطين .

والسلامه ! وحمل ، فاعطاه الله تعالى النصر ، وكانت الدائرة على التتار ، واخذهم السيف والاسار . وقتل كتبغا نوين ، فيمن قتل ، وانهزم من سلم من التتار ، لا يلوون على شىء . وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ممن شهد هذه الواقعة ، وأبلى يومئذ بلاء حسنا .

وكان ممن أسر من التتار ، في هذه الوقعة ، كتبغا المنصورى — وهو يومئذ — شاب — وهو الذى ملك الديار المصرية — بعد ذلك — فى سنة أربع وتسعين وستمائة ، ولقب بالعادل . ووقع فى ذلك حكاية غريبة — نذكرها — ان شاء الله تعالى — عند ذكرنا لسلطنة الملك العادل كتبغا .

قال : ولما تمت الهزيمة على التتار ، جاء الملك السعيد بن الملك العزيز الى السلطان المظفر ، مستأمنا . وكان قد شهد الوقعة مع التتار . فترجل عن فرسه ، وتقدم الى السلطان ليقبل يده . فضربه بقدمه على فمه ، فقدماه . وجاء أحد سلاح داريه(١) السلطان ، فضرب عنقه ! وفعل ذلك به ، مؤاخذة له على جوابه ، الذى ذكره لرسول السلطان .

٣ — عبد الرحمن بن اسماعيل أبو شامة المقدسى

٥٩٩ — ٦٦٥هـ/١٢٠٢ — ١٢٦٧م

ذيل الروضتين ص ٢٠٧ — ٢٠٨ (سماه ناشره تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين .

من ذلك كسرة التاتار : خرج عساكر أهل مصر مع من انضوى من العرب ، وغيرهم لقصد التاتار الذين بالشام ، وملكهم مصر(٢) ، فاجتمع معه خلق عظيم . ولما كانت ليـــلة السابع والعشرين من شـــهر رمضان جاءنا بدمشق الخبر بأن عســكر المســلمين ، وقع على عسكر التاتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت ، وما قاربها من البلاد ، فهزموهم ، وقتلوهم ، وأخـــذوهم ، ومعهم ملكهم كتبغا فقتل ، وأخذ رأسه ، وأسر ابنه ، فانهزم تلك الليلة ، من كان بدمشق

---

(١) السلاح دار هو المتولى شئون أسلحة السلطان . دار يعنى صاحب .

(٢) يريد : الملك المعز أيبك .

من التاتار (ايل سيان) نائب الملك وأتباعه ، وتبعهم الناس ، وأهل الضياع ينهبونهم ، ويقتلون من ظفروا به منهم ، ولله الحمد والشكر .
وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن عبد العزيز بن العادل ، صاحب الطبية وبانياس ، بقى محبوسا بقلاع الشام ، بعد موت الصالح أيوب ، وابنه تورانشاه ، وكسر الفرنج بالديار المصرية ستين كثيرة ، وآخرها بقلعة البيرة على الفرات ، فلما وصلت التاتار اليها ، أخرجوه ، وصار معهم ، فلما قدم العسكر المصرى ، فى هذه الكرة ، قاتل مع التاتار ، فلما وقعت الكرة عليهم ، جاء الى الملك المظفر قطز . وفى ظهر تاريخ الأحد سابع عشرى رمضان ، ورد كتاب ، وهو أول كتاب ، ورد منه — الى أهل دمشـــق يخـــبرهم بهذه الكسرة الميمونة ، وبمواصلة الزحف اليهم بعدها .

٣ المكين جرجس بن العميد

٦٠٢ — ٦٧٢هـ/١٢٠١ — ١٢٧٣م

أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥

وفى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، خرج الملك المظفر قطز ، صاحب مصر ، وجميع من وصل اليه من عسكر الملك الناصر ، ومن اجتمع عنده من التركمان ، والشـــهرزورية ، لقتال كتبغا ، ومن معه من التتـــار ، واستنقاذ البـــلاد من أيديهم . وبلغ ذلك كتبغا ، فســـار اليـــه بمن معه من التتـــار . فالتقت العســـاكر على عين جالوت ، من أرض كنعـــان ، قريبـــا من بيســـان ، وتقاتلوا قتـــالا شـــديدا عظيما ، فحمل المظفر قطز بنفسه ، ومن معه من العساكر الاسلامية ، فنصرهم الله على التتار ، وقتل كتبغا فى المعركة ، وقتل من التتار مالا يحصى عدده . واستولت المســـلمون عليهم ، وأسروا منهم ، ومن نسوانهم خلقا كثيرا ، ومن جملة من أسروا قطوا قيمش ، ولد كتبغا ، وقبجق أخو كتبغا ، وزوجة كتبغا ، وجماعة كثيرة من أعيانهم ، وغنموا منهم غنائم عظيمة . فكانت كسرتهم يوم الجمعة خامس وعشرين رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وانهزم بيدرء . ومعـــه جماعة من التتار ، ومضوا الى هولاؤون ، وأخبروه بذلك .

٤ - غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري
٦٢٤ - ٦٨٥هـ/١٢٢٦ - ١٢٨٦م

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٨

فبينما هم فى ذلك ، وصل خبر أن قوتوز التركمانى الذى تولى مصر ، لما بلغه ان هولاكو رجع الى المشرق ، وكتبوغا بعشرة آلاف فارس فى الشام ، استضعفه ، وجمع عسكرا كثيرا ، وخرج التقى به وكسره وقتله واستأسر أولاده ، وكان ذلك فى السابع والعشرين(١) من رمضان من سنة ثمانى وخمسين وستمائة .

(٢) تاريخ الدول السريانى

فى مجلة المشرق ، السنة ٥٠ ، بيروت ١٩٥٦م ص ١٣٨

أما قوتوز التركى الذى تولى مصر ، فلما بلغه أن هولاكو ابتعد عنه ، وأن الملك الناصر ، قد قبض عليه ، وأرسل اليه ، ولم يبق فى فلسطين الا كتبوغا بعشرة آلاف فارس حشد جيوش مصر ، وزحف الى مرج باشان ، تجاه جبل تابور ، وقاتل التتر ، وانتصر عليهم . وقتل كتبوغا ، واستأسر أولاده ، وكان ذلك فى ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للعرب (١٢٥٩م) ، فغضب هولاكو ، لما بلغه الخبر ، ونوى أن يستأصل شأفة الدولة العربية(١) .

٥ - رشيد الدين فضل الله الهمذانى

٦٨٠هـ/١٢٨١م

جامع التواريخ حـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٣ - ٣١٥

فى الوقت الذى انصرف فيه هولاكو من الشام أرسل رسولا مغوليا ، وبصحبته أربعون من الاتباع الى سلطان مصر يقول : « ان الله تعالى

---

(١) ينفرد ابن العبرى فى تحديد هذا التاريخ ، والذى تجمع عليه المصادر الاخرى أن المعركة التى يشير اليها ، وهى معركة جالوت ، جرت ٢٥ رمضان .

قد رفع شان جنكيزخان وأسرته ، ومنحنا ممالك الأرض برمتها ، وكل من تمرد علينا ، ويعص أمرنا ، يقضى عليه مع نسائه وأبنائه ، وأقاربه ، والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع • أما صيت جيشنا الذى لا حصر له ، فقد بلغ الشهرة كقصة رستم ، وأسفنديار • فاذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا فارسل الينا الجزية ، وأقدم بنفسك ، واطلب الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال » •

وفى ذلك الوقت لم يكن قد بقى من سلالة آل كامل (الأيوبيين) أحد جدير بالملك • وكان الحاكم رجلا من التركمان • فلما توفى ترك طفلا صغيرا اسمه محمد ، فاجلسوه على العرش فى مكان أبيه • وكان قطز أتابكا له • وفجأة توفى محمد ، وصار قطز سلطانا لمصر ، فاجتذب قلوب الناس بالعدل والاحسان •

وكان اكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ممن هزموا على باب أخلاط ، فساروا نحو الشام • وكان فى مقدمة أمرائهم بركت خان ، والملك اختيار الدين خان ابن مكرل ، والملك سيف الدين صادق خان بن ينكوبوقان ، والسلطان ناصر الدين كشلو خان ابن ايل ارسلان ، وأطلس خان ، وناصر الدين قيمرى • وحينما عزم هولاكو خان على المسير الى الشام ، تواروا فى شتى الأطراف ، ولكنهم عادوا قصتهم ، فطيب خاطرهم ، وعطف عليهم ، ومنحهم أموالا طائلة ، فأنفق جملتهم على أحقيته فى التملك والسيطرة •

ولما وصل هولاكو خان ، احضر قطز هؤلاء الأمراء ، واستشارهم فى الأمر وقال : « لقد توجه هولاكو خان من توران ، الى ايران بجيش جرار ، ولم يكن لأى مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق • ولو لم يبلغه نعى أخيه ، لالحق مصر بالبلاد الأخرى ، ومع هذا فقد ترك فى هذه النواحى كيتوبوقا نويان ، الذى هو كالأسد الهصور ، والتنين القوى فى الكمين • واذا قصد مصر ، فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته ، فيجب تدبر الأمر قبل فوات الفرصة » •

قال ناصر الدين قيمرى :

« ان هولاكو خان فضلا عن أنه حفيـــد جنكيزخان وان تولوى ، وأخو منككوقا آن ، فان شهرته ، وهيبته فى غنى عن الشرح والبيان ، وأن البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر كلها فى قبضته الآن . وقد أختص بالتاييد السماوى . فلو ذهبنا اليه لطلب الأمان ، فليس فى ذلك عيب وعار . ولكن تناول الســـم بخداع النفس ، واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل العقل . انه ليس بالانسان الذى يطمأن اليه ، فهو لا يتورع عن أجتزاز الرؤوس ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجاه خورشاه ، والخليفة ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ، بعد أن أعطاهم العهد والميثاق . فاذا ما سرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل » .

فقال قطز : « والحالة هذه ، فان كافة بلاد ديار بكر ، وربيعة ، والشام ممتلئة بالمناحات ، والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع من فيها من حرث ونسل ، فخلت من الأزواج ، والأبقار والبـــذور . فلو أننا تقـــدمنا لقتالهم ، وقمنــــا بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها من الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر متعـــذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفرا الا الغـــرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيـــدة » . فأجاب ناصر الدين قيمرى : « وليس هناك مصلحة أيضا فى مصالحتهم اذ انه لا يوثق بعهودهم » . وقال أيضا بقية الأمراء : « ليس لنا طاقه ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك » . عنـــدئذ قال قطز : « ان الرأى عندى هو أن نتوجه جميعا الى القتال . فاذا ظفرنا فهـــو المراد ، والا فلن نكون ملومين أمام الخلق » .

فاتفق الأمراء بعد ذلك ، ثم اختلى قطز بالبندقدار الذى كان أمير الأمراء ، وشاوره فى الأمر ، فقال البندقدار : « انى أرى أن نقتل الرسل ، ونقصد كيتوبوقا متضامنين . فان انتصرنا أو هزمنا ، فسوف نكون فى كلتا الحالتين معذورين » .

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل • وفى الصباح وطدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا فى طريقهم •

فأرسل الأمير بايدر الذى كان فى طليعة جيش المغول بغزة الى كيتوبوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحرك جيش مصر • فـرد عليه كيتوبوقا قائلا : « قف مكانك وانتظر » • ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتوبوقا ، وطارده حتى نهر العاصى •

فصار كيتوبوقا كأنه نهر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وأقبل معتمدا — الى أقصى حد — على قوته وسطوته • وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، وأعده خير اعداد • ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجند ، وقابل كيتوبوقا مع عدة آلاف من الفرسان ، كلهم من أهل الحرب والمراس — فى « عين جالوت » ، نقذف سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ، ولحقت بجنودد الهزيمة •

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيرا من المصريين ، ولكن عندما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على الجنود المغول ، وقاتلوهم قتالا مستميتا من انفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة آخر الأمر •

وكان كيتوبوغا يضرب يميناً وشمالا غيرة وحمية ، وكان يكر على أعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه فى الهرب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال: « لا مفر من الموت هنا ، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان • وسيصل رجل واحد ، صغيرا أو كبيرا ، من أفراد هذا الجيش الى حضرة الملك ، ويعرض عليه كلامى قائلا : « أن كيتوبوغا لم يشأ أن يتراجع وقد كلله الخجل ، فضحى بحياته الغالية فى سبيل واجبه • ينبغى الا يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغـول ، وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاما واحدا ، وأن جياد قطعانه لم تلد المهور • فليدم اقبال الملك • ومادامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة ، فانها

تكون عوضا لكل مفقود ، اذ أن وجودنا وعدمنا نحن العبيد والاتباع امر سهل يسير » .

ورغم أن جنوده تركوه وحده . فقد ظل يكافح ألف رجل الى أن كبا به جواده فى نهاية الأمر فأسر . وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختفى فيها فوج من الفرســان المغول ، فأمر قطز جنوده بان يضرموا فيها النار ، وأحرقوهم جميعاً .

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلا الى قطز فقال له : « أيها الرجل الناكث العهد . ها أنت ـ بعد أن سفكت كثيرا من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الـكاذبة ، وهدمـت البيوتات العريقة ـ بالأقوال الزائفة المزورة ـ قد وقعت أخيرا فى الشرق » .

شـعر :

« وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،
انتفض كـأنه الفيـتل الهـائج الثمـل
فاجاب قائلا : « أيها الفخـور المغـتر
لا تتباه ـ كثيرا بيوم النصر هـذا »

« فأنا اذا قتلت على يدك فانى أعلم أن ذلك من اللـه لا منك . فلا تخدع بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العامر ، فانه حين يبلغ حضرة هولاكو خان نبأ وفاتى ، سوف يغلى بحر غضبه ، وستطاء سنابك خيل المغول البلاد من أذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر فى مخالى خيولهم . الى هناك . ان لهولاكو خان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا . فافرض أنه نقص واحد منهم » .

فقال له قطـز :

« لا تفخر الى هذا الحـد بفرسان توران ، فانهم يزاولون اعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن استان » .

فرد عليه كيتوبوقا :

« انني كنت عبدا للملك ما حييت ، ولست مثلك ماكرا ، وغادرا ، وقاتلا » .

شـعر :

« فلا كان راسى ، ولا كان جسد للشرير،
الـــذى يقتـــل مليكـــه .... »

« بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا اسمع تانيبك » .

فأمر قطز بقتله ففصلوا راسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول فى جميع انحاء الشام حتى شاطىء النهر (الفرات) ، ثم نهبوا معسكر كيتوبوقا ، وأسروا النســاء والأطفال والأتباع ، وقتــلوا العمال وحكام الولايات ، ماعدا عمال دمشق الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر فى تلك الليلة .

ولما بلغ هولاكو خان نبأ نعى كيتوبوغا ، وعلم بحـــديثه فى ذلك الوقت ، أسف أسفا شديدا على وفاته ، واشتعلت نيران غضبه وقال :

« أين أجد خادما آخر مثله ، يبدى مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل هذه العبودية ساعة هلاكه ... » وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ، وأعزهم واكرمهم .

٦ ــ قطب الدين موسى بن محمد اليونينى البعلبكى

٦٤٠ ــ ١٢٤٢/٥٧٢٦ ــ ١٣٢٦م

ذيل مرآة الزمان ، (حـ١ ، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦)

فخرج (قطز) يوم الاثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر مع من انضاف اليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار الذين بالشام . فلما وصل الى مرج عكا اتصل بكتبغا نوين مقدم عسكر التتر بالشام ، خروج الملك المظفر ، وكان فى بلد حمص ، فتوجه الى الفــور . وبعث الملك

المظفر للأمير ركن الدين البندقدارى فى عسكر ليتجسس خبر التتر ، فلما وقعت عينه عليهم كتب الى الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ، ثم انتهـز الفرصة فى مناوشتهم ليكون له اليد البيضـاء عند الاسـلام ، فلم يزل يستدرجهم تارة بالاقبال وتارة بالاحجام حتى وافى بهم الى الملك المظفر على عين جالوت ، فكانت الواقعة التى أيد الله بها المسلمين على التتر ، وأخذ منهم ثار أهل الوبر والمدر ، وحاق بهم مكر السيف ، وحكم فيهم الحتف بالحيف ، وقتلوهم ، وأخـذوهم ، ومعهم ملكهم كتبغا نوين ، فقتل وأخذ رأسه ، وأسر ابنه ، وكانت الواقعة بين التتر ، والمسلمين على عين جالوت يوم الجمعة خامس وعشرين من شهر رمضان المعظم . ووصل الخبر الى دمشق فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فانهزم تلك الليلة من كان بدمشـق من التتار و (ايل سبان) نائب الملك وأتباعه ، وتبعهم الناس ، وأهل الضياع ينهبونهم ، ويقتلون من ظفروا به ، فلله الحمد والشكر . وجرد الملك المظفر خلف التتر الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى فتبعهم الى حمص ، وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا ، ورجع الى دمشق .

٧ ـ اسماعيل بن على ، أبو الفـدا

٦٧٢ ـ ١٢٧٣/٥٧٣٢ ـ ١٣٣١م

المختصر فى أخبار البشر ، جـ٤ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦

وفى هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت . وكان من حديثها ، أنه لم اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر ، عزم الملك قطز مملوك المعز أيبك على الخروج الى الشـام لقتال التتر ، وسار من مصر بالعساكر الاسلامية ، وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماه ، وأخوه الملك الأفضل على . وكان مسيره من الديار المصرية فى أوائل رمضان من هذه السنة . ولما بلغ كتبغا ، وهو نائب هولاكو على الشام ، ومقدم التتر ، مسير العساكر الاسلامية اليه ، صحبه الملك المظفر قطز ، جمع من فى الشام من التتر ، وسار الى لقاء المسـلمين . وكان الملك السعيد ، صاحب الصبيبة ابن الملك العـزيز بن الملك العادل بن أيوب

صحبة كتبغا ، وتقارب الجمعان فى الغور . والتقوا يوم الجمعة المذكور ، فانهزمت التتر هزمة قبيحة . وأخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل مقدمهم كتبغا ، واستؤسر ابنه ، وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال ، وتبعهم المسلمون ، فافنوهم . وهرب من سلم منهم الى الشرق ، وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى فى اثرهم . فتبعهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية . وكان أيضا فى صحبة التتر الأشرف موسى ، صاحب حمص ، ففارقهم . واقره على ما بيده ، وهو حمص ومضافاتها . وأما الملك السعيد صاحب الصبيبة ، فانه أمسك أسيرا ، وأحضر بين يدى الملك المظفر قطز ، فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق . ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماه ، وأقره على حماه ، وبارين ، وأعاد اليه المعزة ، وكانت فى أيدى الحلبيتيين ، من حين استولوا عليها فى سنة خمس وثلاثين وستمائة . وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب . وأتم الملك المظفر السير بالعساكر ، وصحبته الملك المنصور صاحب حماه حتى دخل دمشق . وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم ، فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر ، لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام . ولأنهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ، ولا عسكرا الا هزموه . فابتهجت الرعية بالنصرة عليهم ، وبقدوم الملك المظفر الى الشام ، وفى يوم دخوله دمشق ، أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر ، فشنقوا . وكان من جملتهم حسين الكردى طبردار الملك الناصر يوسف ، وهو الذى أوقع الناصر فى أيدى التتر .

٨ ـ عمر بن مظفر ابن الوردى ١

ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م

تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ٢ ، ص ٢٩٥

وفيها كانت هزيمة التتر يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت ، وذلك أن العساكر الاسلامية ، لما اجتمعت بمصر ، سار بهم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك ، لقتال التتر ومعه المنصور ، والأفضل أخوه ، فى أوائل رمضان ، وبلغ ذلك كتبغا ، نائب هولاكو على

الشام ، فجمع من بالشام من التتر ، وسار الى قتال المسلمين ، ومعه صاحب الصبيبة السعيد بن العزيز بن العادل بن أيوب ، والتقوا فى الغور يوم الجمعة ، فانهزمت التتر هزيمة قبيحة ، وأخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل مقدمهم كتبغا . واستئوسرا ابنه ، وتعلق من سلم منهم برؤوس الجبال ، وتبعهم المسلمون فأفنوهم ، وهرب من سلم الى الشرق وجرد قطز بيبرس البندقدارى فى اثرهم فتبعهم الى أطراف البلاد .

٩ – اسماعيل بن عمر بن كثير

٧٠٠ – ٧٧٤هـ/١٣٠١ – ١٣٧٣م

البداية والنهاية فى التاريخ ، حـ١٣ ، ص ٢٢٠ – ٢٢١

ان المظفر قطز لما بلغه من أمر التتار بالشام المحروسة ، وانهم عازمون على الدخول الى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام ، بادرهم قبل ان يبادروه ، وبرز اليهم ، وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فرج فى عساكره ، وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى الى الشام ، واستيقظ له عسكر المغول ، وعليهم كتبغا نوين ، وكان اذ ذاك فى البقاع ، فاستشار الأشرف صاحب حمص ، والمجير بن الزكى ، فاشاروا عليه بأن لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو ، فابى الا ان يناجزه سريعا ، فساروا اليه ، وسار المظفر اليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت .

١٠ – الحسن بن عمر بن حبيب

٧٧٩هـ/١٣٧٧م

درة الأسلاك فى دولة الأتراك

وثابر (السلطان الملك المظفر قطز) على جهاد الأعداء اشد مثابرة ، وطرد عساكر التتار من الشام ، وكسرهم على عين جالوت كسرة جبر بها الاسلام ، ودخل دمشق فأصلح أمورها ، ورد شاردها ونفورها ، وأذهب لباس الالباس ، ولم يتعرض الى عرض أحد من الناس .

١١ ـ عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م

العبر وديوان المبتدأ والخبر

مجلد ٥ القسم ١ ، ص ٨٢

واجتمعت عساكر مصر ، واحتشد المظفر بالعـــرب ، والتركمان ، وبعث اليهم بالعطايا ، وأزاح العلل · وبعث كتبغا الى المظفـــر قطز بأن يقيم طاعة هولاكو بمصر ، فضرب أعناق الرسل ، ونهض الى الشام مصمما للقاء العدو ، ومعه المنصور ـ صاحب حماه ، واخوه الافضل · وزحف كتبغا وعسكر التتر ومعـــه الأشرف صاحب حمص ، والســـعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن العادل · وبعث اليهما قطز يستميلهما ، فوعده الأشرف بالانهزام يوم اللقاء ، وأساء العزيز الرد على رسوله ، وأوقع به · والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت ، وتحيز الأشراف عندما تناشبوا ، فانهزم التتر ، وقتل أميرهم كتبغا فى المعركة ·

ولقى الظاهر بيبرس المنهزمين فى عســـكره من الترك ، فأثخن فيهم وانتهى الى حمص ، فلقى مددا من التتر جاء لكتبغا فاستأصلهم ·

١٢ ـ أحمد بن على المقـــريزى

٧٦٩ ـ ٨٤٥هـ/١٣٦٧ ـ ١٤٤١م

الســـلوك لمعرفة دول الملوك

حـ٢ ، ق١ ، ص ٤٢٧ ـ ٤٣١

وفيها وصلت رسل هولاكو الى مصر بكتاب نصه : « من ملك الملوك شرقا وغربا ، القان الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء· يعلم الملك المظفر قطز ، الذى هو من جنـــس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم ، يتنعمون بانعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك ـ يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته ،

بالديار المصرية ، وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه، خلقنا من سخطه ، وسالطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ . فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكى . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهـــرب ، وعلينا الطلب . فأى أرض تاويكم ، وأى طريق ينجيكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال . فالحصون لدينا لا تمنع ، والعســـاكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينـــا لا يسمع . فانكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند الكلام ، وخنتم العهود والايمان ، وفشا فيكم العتوق والعصيان . فأبشروا بالمذلة والهـــوان ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون ، فى الارض بغير الحق، وبما كنتم تفسقون . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلـــب ينقلبون . فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصــد أماننا ســـلم . فان أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وان خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم - بأيديكم . فقد حذر من أنذر . وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة . فكثيركم - عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الأهنة ما لملوككم عنـــدنا سبيل . فلا تطيلوا الخطـــاب ، وأسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحـــرب نارها ، وترمى نحـــوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا ، وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية . فقـــد أنصـــفناكم اذ راسلناكم ، وأيقظناكم اذ حذرناكم ، فما بقى لنا مقصـــد سواكم . والســـلام علينا وعليكم ، وعلى من أطاع الهـــدى ، وخشى عواقـــب الروى ، وأطاع الملك الأعلى .

فقبض على الرسل ، واعتقلوا ، وشرع فى تحليف من تخيره من الأمراء ، وأمر بالمسير والأمراء غير راضين بالخروج كراهة فى لقـــاء التتر . فلما كان يوم الاثنين خامس عشر شعبان ، خرج الملك المظفر قطز

بجميع عساكر مصر ، ومن انضم اليه من عساكر الشام ، ومن العرب ، والتركمان ، وغيرهم ، من قلعة الجبل يريد الصالحية ٠

وفيه أحضر (قطز) رسل التتر ، وكانوا أربعة ٠ فوسط واحـــدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر باب زويلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية ٠ وعلقت رؤوسهم على باب زويلة ٠ وهذه الرؤوس أول رؤوس علقت على باب زويلة من التتار ، وأبقى الملك المظفر على صبى من الرسـل ، وجعـــله من جملة مماليـــكه ٠

ونودى فى القاهرة ومصر ، وسائر اقليم مصر ، بالخـــروج الى الجهاد فى سبيل الله ، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وتقدم (الملك المظفر) ، كسائر الولاة بازعاج الأجناد فى الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع ٠ وسار حتى نزل بالصالحية ، وتكامل عنده العسكر ، فطلب الأمراء ، وتكلم معهم فى الرحيل ، فأبوا كلهم عليه ، وامتنعوا من الرحيل ، فقال لهـــم : « يا أمراء المسـلمين الـكم زمان تأكلون أموال بيت المـــال ، وأنتم للغـــزاة كارهون ، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » ٠ فتكلم الأمراء الذين تخيرهم وحلفهم فى موافقته على المسير ، فلم يسمع البقية الا الموافقة ، وانفض الجميع ٠

فلما كان فى الليل ركب السلطان ، وحرك كوساته ، وقال : « أنا القى التتار بنفسى » ، فلما رأى الأمراء مسير السلطان على كره ، وأمر (الملك قطز) الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى أن يتقدم فى عسكر ليعرف أخبار التتر ، فسار (بيبرس ـ الى غـــزة ، وبها جموع التتر ، فرحلوا عند نزوله ، وملك (هو) غزة ٠

ثم نزل السلطان بالعساكر الى غزة وأقام بها يوما ، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا ، وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا اليـــه بتقادم ، وأرادوا أن يســـيروا معه نجـــدة ٠ فشكرهم وأخلع عليهم ،

واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه ، واقسم لهم أنه متى تبعهم فارس ، أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين ، رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر .

وأمر (الملك قطز) بالأمراء فجمعوا وحضهم على قتال التتر ، وذكرهم بما وقع بأهل الاقليم من القتل والسبى والحريق ، وخوفهم وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ، ونصرة الاسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله ، فضجوا بالبكاء ، وتحالفوا على الاجتهاد فى قتال التتر ، ودفعهم عن البلاد . فأمر (السلطان) حينئذ أن يسير الأمير (ركن الدين) بيبرس (البندقدارى) بقطعة من العسكر فسار حتى لقى طليعة التتر . فكتب الى السلطان يعلمه بذلك ، وأخذ فى مناوشتهم ، فتارة يقدم ، وتارة يحجم ، الى أن وافاه السلطان على عين جالوت .

وكان كتبغا وبيدرا نائبا هولاكو ، فلما بلغهما مسير العساكر (المصرية) ، جمعا من تفرق من التتر ، فى بلاد الشام ، وسارا يريدان محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها . فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان التقى الجمعان ، وفى قلوب المسلمين ، وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس . وقد امتلأ الوادى ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء ، فتحيز التتر الى الجبل . فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان ، وانتقض طرف منه ، فالقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته : « واسلاماه ! » ، وحمل بنفسه ، وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره . وقتل كتبغا مقدم التتر ، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز ـ وكان مع التتر . وانهزم باقيهم ، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون ، وأبلى الأمير بيبرس أيضا بلاء حسنا بين يدى السلطان .

ومما اتفق فى هذه الوقعة ، أن الصبى الذى ابقاه السلطان من رسل التتر ، وأضافه الى مماليكه ، كان راكبا وراءه حال اللقاء . فلما التحم القتال ، وجه سهمه نحو السلطان ، فبصر به بعض من كان حوله فأمسك وقتل مكانه . وقيل بل رمى (الصبى) السلطان بسهمه ، فلم يخطىء

فرسه ، وصرعه الى الأرض ، وصـار السلطان على قـدميه فنزل اليه فخر الدين ماما ، وأركبه فرسـه ، حتى حضرت الجنائب ، فركب فخر الدين منها .

ومر العسكر فى أثر التتر الى قرب بيسان ، فرجع التتر ، وصافوا مصافا ثانيا أعظم من الأول، فهزمهم الله ، وقتل أكابرهم ، وعدة منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدا ، فصرخ السلطان ، صرخة عظيمة، سمعه معظم العسكر ، وهو يقول : « واإسلاماه ! » ثلاث مرات ، « ياالله ! انصر عبدك قطز على التتار » . فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ، ومرغ وجهه على الأرض وقبلها ، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ، ثم ركب ، فاقبل العسكر ، وقد امتلأت أيديهم بالغنائم .

فورد الخبر بانهزام التتر الى دمشق ليله الأحد السابع والعشرون ، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار الى القاهرة ، ففر الزين الحافظى ونواب التتار من دمشق وتبعهم أصحابهم . فامتدت أيدى أهل الضياع اليهم ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة اشهر وعشرة أيام .

١٣ ـ عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى

٨٤٩ ـ ٩١١هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م

تاريخ الخلفاء ص ٤٧٥

خرج المصريون فى شعبان متوجهين الى الشام لقتال التتار فاقبل المظفر بالجيوش وشاليشة ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشر رمضان . فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم، وينتهبونهم ، وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ، ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق غاية المحبة ، وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم عن البلاد .

١٤ ـ محمد بن أحمد بن اياس
٨٥٢ ـ ٩٣٥هـ/١٤٤٨ ـ ١٥٢٤م
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
حـ١ ، ص ٩٦ ـ ٩٧

جاءت الأخبار بأن جاليش عسكر هولاكو ملك التتار ، قد وصل الى أطراف دمشق ، ونهبوا البلاد ، وقتلوا العباد ، وأطلقوا فيهم الزناد ، وكان ذلك فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، فلما وصل الخبر الى الديار المصرية ! اضطربت وماجت بأهلها ، وقد بلغهم ما فعله هولاكو فى بغداد ، وقتله للخليفة المستعصم بالله ، وما جـــرى منهم فى حق أهل بغداد من القتل والنهب وخراب البلاد ، كما تقدم فى أول التاريخ . ثم ان أميرا من أمراء هولاكو الذين وصلوا الى دمشق يقال كتبغا ، حضر الى الملك قطز وصحبته أربعة من التتار ، ومعهم كتاب من عند هولاكو ، وكان مضمونه : من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم ، ونعت فيـــه نفسه بألفاظ معظمة ، وذكر فى الكتاب شدة سطوته ، وكثرة عساكره ، وما جرى على أهل البلاد منه ولاسيما ما فعله فى بغداد ، وماجرى على أهلها منه . وأرسل يقول : يا أهل مصر ، أنتم قوم ضـــعاف ، فصونوا دمائكم منى ، ولا تقاتلونى أبدا فتندموا ، وشرع يذكر فى كتابه أشـــياء كثيرة من هذه الألفاظ الفاحشة اليابســة . فلما ســـمع الملك المظفر قطز مضمون ما فى كتاب هولاكو أحضر الأمراء ، واستشارهم فيما يكون من أمر هولاكو ، فقال الأمراء نجمع العساكر من سائر البلاد ، ونخرج اليه ، ونقاتله أشد ما يكون من القتال . ثم ان الملك المظفر قطز نادى فى القاهرة بأن النفير عام الى الغزو فى سبيل الله تعالى ، ثم أنه عرض العسكر ، وأرسل خلف عربان الشرقية والغربية ، فاجتمع من العساكر مالا يحصى ، ثم أنه أخذ فى أسباب جمع الأموال ، فأخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهرا واحدا ، وأخذ من أغنياء الناس ، والتجار زكاة أموالهم معجلا ، وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال ، وأخذ على الغيطان والسواقى أجرة شهر ، وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء كثيرة ، فبلغ جملة ما جمعه من هذه الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار ، أنفق على

العسكر ، والعربان ، وبرز خيامه الى الريدانية ، فلما كان أواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل ، وهو فى موكب عظيم ، فلما نزل بالريدانية أمر بتوسيط رسل هولاكو ٠ ثم رحل من الريدانية ، ونزل بمنزلة الصالحية ، وأقام بها الى أن تكامل العسكر ، وجد فى السير الى أن وصل الى عين جالوت من أرض كنعان ، فتلاقى هناك عسكر هولاكو ، وعسكر السلطان قطز ، فكانت الكسرة على التتار فكسروهم ، وشتتوهم الى بيسان ، وكان ذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ٠ ثم وقعت بينهما وقعةثانية أعظم من الأولى ، فقتلمن التتار نحو النصف، وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة ، من خيول وسلاح وغير ذلك ٠ فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز نحو الشام فدخلها فى موكب عظيم ٠

١٥ ـ بدر الدين محمود العينى

(ت ٨٨٥هـ/١٢٦٥م)

عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان

الجزء الأول ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥

ولما استولت التتار على البلاد الشامية ، وضايقوا الممالك الاسلامية، ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد الا عسكر الديار المصرية ، اتفق السلطان الملك المظفر قطز مع الأمراء والاكابر على تجهيز العساكر ، وصمموا على لقاء العدو المخذول ، وجمعوا الفرسان ، والرجالة من العربان وغيرهم ، وخرجوا من القاهرة بأعظم أبهة ٠

وكانت التتار فى أرض البقاع ، فساروا صحبة مقدمهم كتبغا نوين، فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت ، فى مرج بنى عامر ٠ فلما التقى الجمعان ، حمل السلطان الملك المظفر بنفسه ، والقى خوذته عن رأسه ، وحملت الأمراء البحرية ، والعساكر المصرية ، حملة صادقة ٠ فكسروهم أشد كسرة ، وقتل كتبغا نوين فى المعركة ٠

وقتل بعده السعيد بن الملك العزيز لأنه وافقه فى هذه الحركة ، وكان قد أخذ من هلاوون فرمانا باستمراره على ما بيده من البلاد ، وهى

الصبيبة ، واعمالها ، وزيادة عليها ، وحضر مع كتبغا نوين الوقعة ، فلما انكسر ، واحضر الى المظفر مستأمنا فقال له : كان هــذا يكون لو حضرت قبل الواقعة ، واما الآن فلا ، وأمر به فقتل صبرا .

وقتل اكثر التتار ، وجهزت خيل الطلب وراء من هم بالفرار ، وكان المقدم عليها الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فتبع المنهزمين ، وأتى عليهم قتلا ، وأسرا حتى استأصل شــأفتهم ، فلم يفلت أحــد منهم ، وصادفت طائفة من التتار جاءت من عند هلاون مددا لكتبغا ، فلما وصلت هذه النجدة الى بلد حمص صادفت التتار منهزمين على أسوء الأحوال ، والخيول تجول فى طلبهم كل مجال ، فلم يمكنهم الهرب والفرار ، فكانوا للسيوف غنيمة ، وكانت عدتهم ألفين فلم يبق بهم أثر ولا عين .

وكان أيضا فى صحبة التتار الملك الأشرف موسى صاحب حمص . ففارقهم وطلب الأمان من السلطان الملك المظفر ، فأمنه ووصل اليه فأكرمه ، واقره على ما بيده ـ وهى حمص ومضافاتها .

ومما اتفق فى هذه الوقعة أن الصبى الذى استبقاه السلطان الملك المظفر من التتار المرسلين اليــه من عند كتبغا ، وأضــافه الى المماليك السلطانية ، كما ذكرناه ، كان راكبا وراءه حال اللقاء ، فلما التحم القتال كيز سهما وفوته نحو المظفر ، فبصرته بعض من كان حوله ، فأمسك وقتل مكانه ، فكان كما قيل :

واحــذر شرارة من أطفــات جمــرته
فالنــار غــض ولو بقى الى حــين

وفى تاريخ النويرى : ضرب ذلك الشاب السلطان بسهم فلم يخطى فرسه ، فوقعت ، وبقى السلطان على الأرض ، فنزل فخر الدين ماماى عن فرسه ، وقدمه الى السلطان فركب ، ثم حضرت الجنائب السلطانية فركب فخر الدين منها .

ثم لما فرغ السلطان من كسر التتار ، وانقضى أمر المصاف ، احسن الى الملك المنصور صاحب حماه ، واقره على حماة وبارين ، واعاد اليه

المعرة ، وكانت فى أيدى الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وأخذ السلمية منه وأعطاها للأمير شرف الدين عيسى بن مهنى بن مانع أمير العرب .

١٦ بيبرس الدوادارى (ت رمضان ٧٢٥هـ)
زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة
الجزء التاسع
ذكر كسرة التتار فى عين جالوت
(ص ٦٩ - ٧٠)

يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من هذه السنة (٦٥٨هـ) استولت التتار على البلاد الشامية ، وضايقوا المسالك الاسلامية ، ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد الا عسكر الديار المصرية ، اتفق المظفر مع الأمراء والاكابر على تجهيز العسكر وصمموا على لقاء العدو المخذول ، واستعانوا بالله وجمعوا الفارس والراجل من العربان وغيرهم ، واستعدوا أعظم استعداد ، وبايعوا الله على الجهاد ، وخرجوا من القاهرة بأعظم أهبة ، وأجمل زى ، واكمل رهبة ، وقد اخلصوا النيات ، واصفوا الطويات ، وسار التتار صحبة مقدم للقائهم فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت ، فلما التقى الجمعان ، واتصل الضراب والطعان ، حمل المظفر بنفسه ، والقى خوزته من رأسه ، وحملت الامراء البحرية والعساكر المصرية حملة صادقة كانت للعدو صاعقة فكسرهم أشد كسرة . وقتل كتبغا نوين فى المعركة ، وقتل بعده السعيد بن العزيز لأنه وافقه على هذه الحركة (وكان التتار لما ملكوا قلعة البيرة وجدوه فيها معتقلا فأطلقوه ، واعطوه بنياس ، وقلعة الصبيبة) ، وأعطاه زيادة عليها . وحضر مع كتبغا الواقعة فلما انكسروا حضر الى المظفر مستأمنا فقال له : كان هذا يكون لو حضرت قبل الواقعة ، وأما الآن فلا ، وأمر به فقتل صبرا ، وقتل أكثر التتار . وجهزت خيل الطلب ، وراء من هم بالفرار ، وكان المقدم عليها الأمير الركن بيبرس البندقدارى فتبع المنهزمون واتى عليهم قتلا ، وأسرا حتى استأصل شافتهم فلم يفلت أحدا منهم ، وصادف طائفة من التتار منهزمين على

أسوأ الأحوال والخيول تجول فى طلبهم كل مجال فلم تمكنهم الهزيمة فكانوا للسيوف غنيمة ٠ وكان عددهم الفين ، فلم يبق لهم أثر ولا عين ، وكشف الله هذه الكربة العظيمة،والبلية الجسيمة على يد المظفر والأتراك، الذين شدوا أزره ومكنوا أمره ، وتولى بهم الله نصر الاسلام وخيره ٠ فهذه أول الوقائع التى أبلوا فيها البلاء الحسن ، وأذهبوا عن الاسلام وأهله الحزن وظهرت منهم الشجاعة والبأس ، وأعادوا رونق الملك ، وقد حصل منه اليأس ، ودفعوا هذا العدو الشريد الذى أفنى ، وأباد كل من طاوله فى الأمد العريب ، من المدى البعيد ، ولم يتكلوا عن لقائه ٠

قلت وهذه الواقعة الأولى مع التتار ثانية لما فعلوه بالفرنج المخذولين ، فرجوا منهم كرب المسلمين فى نوبة المنصورة(١) ، فلله درهم ، وعلى الله أجرهم ٠

ومما أتفق فى هذه الواقعة أن الصبى الذى استحياه المظفر من التتار المرسلين اليه عند كتبغا ، واضافه الى المماليك السلطانية كان راكبا ورأه حال اللقاء ، فلما التحم القتال كيز سهما وفوقه نحو المظفر ، فبصر به بعض من كان حوله ، فأمسك ، وقتل مكانه فكان كما قيل :

واحذر شرارة من أطفأت جمرته
فالثأر غض ولو بقى الى عين

ثم سار الملك المظفر الى دمشق ، فدخلها ونظر فى أحوال البلاد ، وحسم مواد الفساد ، وجدد اقطاع الاقطاعات ، بمناشير ورتب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى نائبا ونجم الدين أبا الهيجاء بن خشتر بن الكردى ، ورتب علاء الدين صاحب الموصل نائب السلطنة بحلب ٠ وأقر الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماه بها ، وحضر اليه الملك الأشرف صاحب حمص ، فاقبل عليه ، وأقره بما بيده ، ولم يؤاخذه ، وأحضر حسين الكردى الطردار الذى وشى بالملك الناصر الى التتار وأمر بشنقه فشنق جزاء بما فعله من السعاية ونكالا بما جناه من

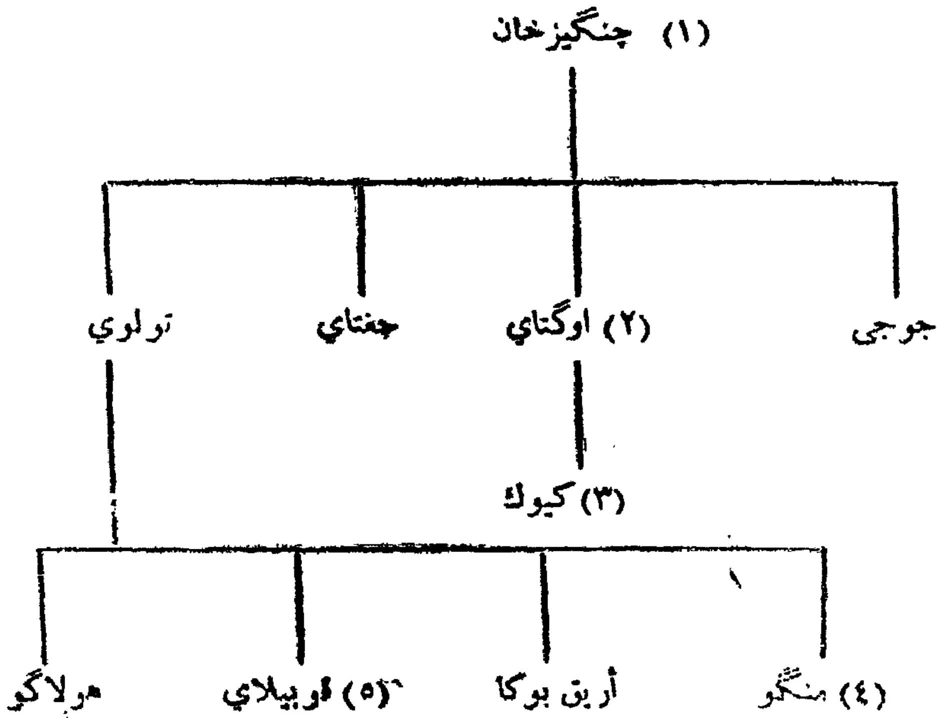
---

(١) يشير الى هزيمة لويس فى الحملة الصليبية عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ٠

قبيح الجفاية ، واقام بدمشـــق نيفا وعشرين يوما ، ثم سار عائدا الى الديار المصرية ٠

أولاً ـ الجداول

خانات المغول



من كتاب الدكتور الصياد « المغول فى التاريخ »

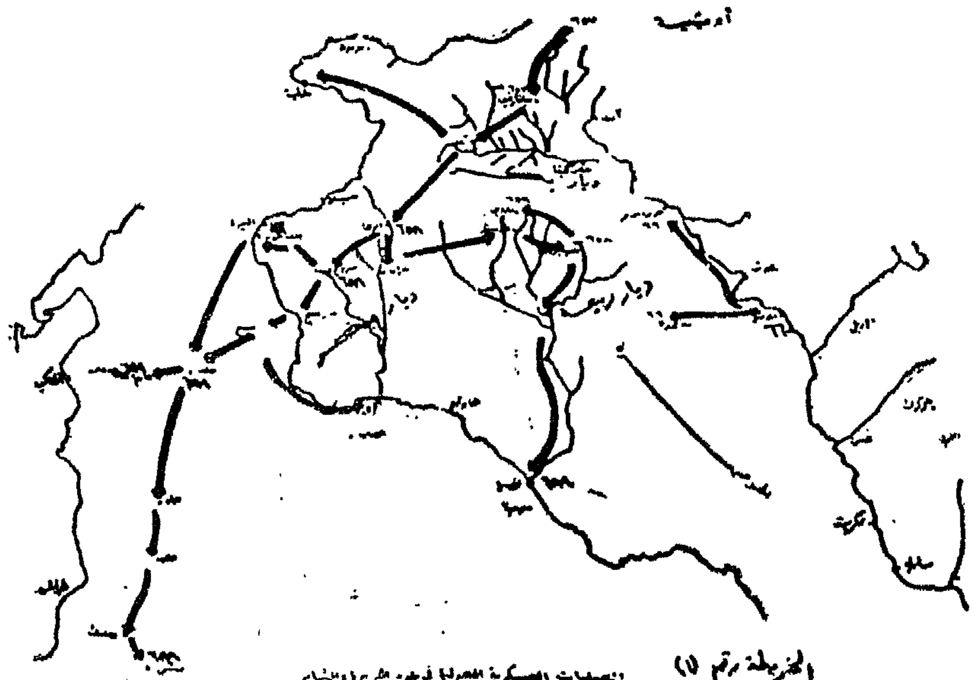
ثانياً — الخرائط

أقاليم الصين في القرن السادس



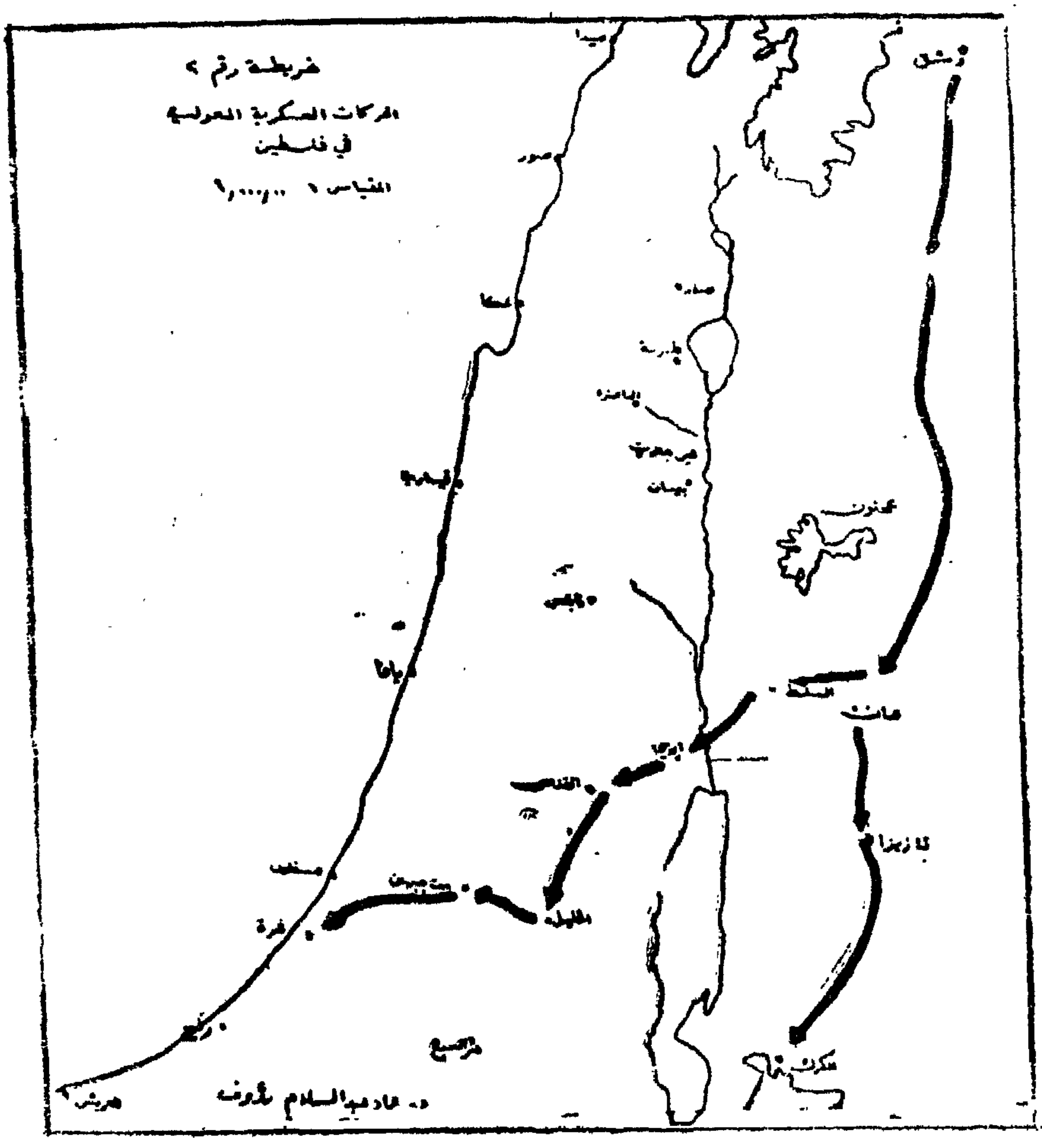
خريطة (١)

من كتاب الدكتور الصياد « المغول فى التاريخ »

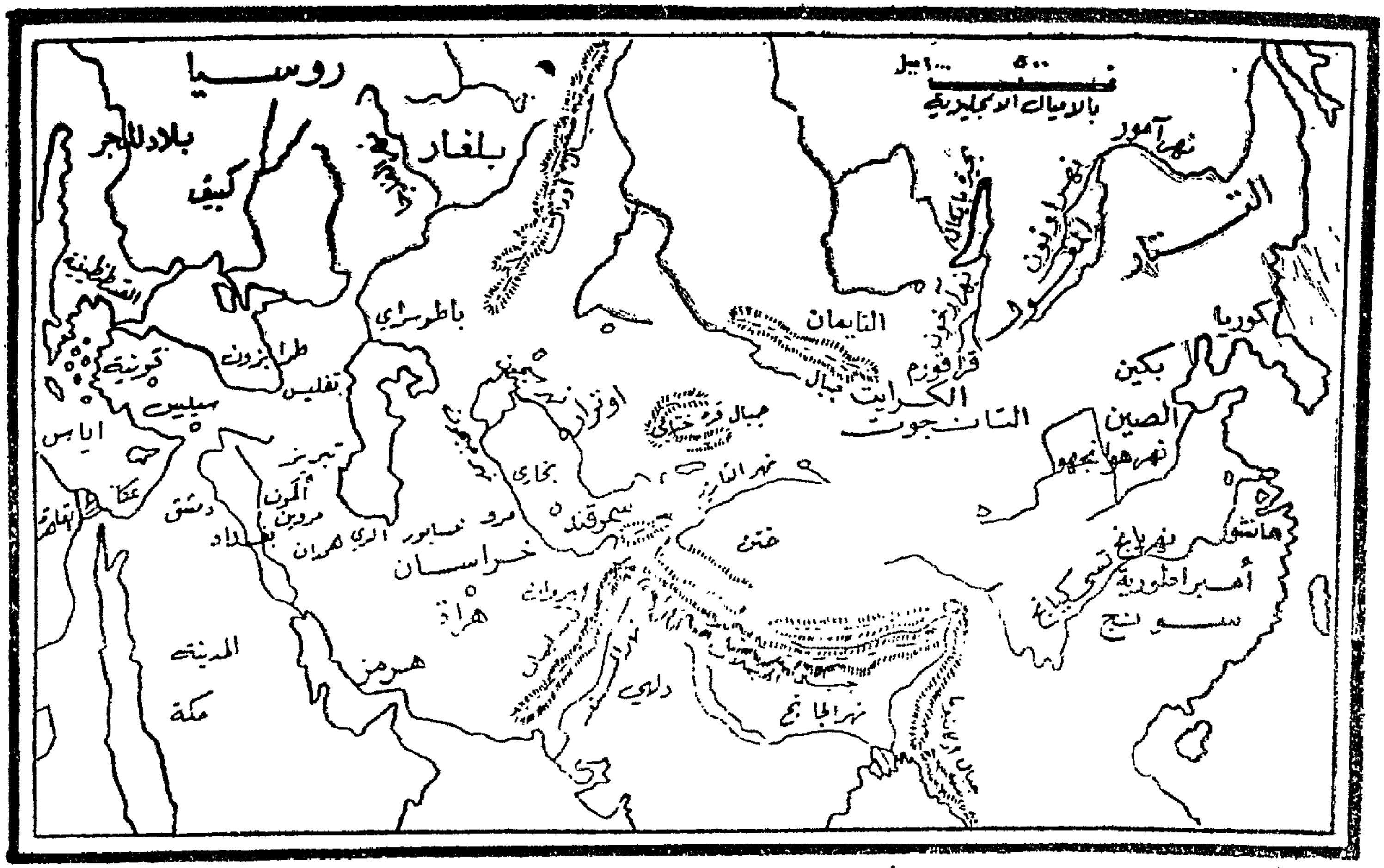


الخريطة رقم (١)

من كتاب د٠/رؤوف « معركة عين جالوت »



من كتاب د٠/رؤوف « معركة عين جالوت »



خريطة (٤) امبراطوريّة المغول

المصـــــادر

— ابن الأثير : على بن محمد الجزرى الملقب بعز الدين
(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
الكامل فى التاريخ
١٢ جزء ، القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨هـ .

— ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد
(ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
الجزء الأول ، القاهرة ١٨٩٤م .

— ابن ايبك الدوادارى : أبو بكر بن عبد الله
(بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)
كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء الثامن منه المعروف ، باسم الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية» . تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، المعهد الالمانى للآثار بالقاهرة .

— ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربى
(ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ - ١٤٠٦م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م .

— ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن اهيم بن أبى بكـــر الشافعى (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان
جزاءن ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

— ابن شاكر الكتبى : فخر الدين محمد بن أحمد الكتبى
(ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
فوات الوفيـــات
جـ١ ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٥١م .

— ابن شاهين الظاهرى : غرس الدين خليل
(ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)
زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
(تحقيق ، بول رافيس (Paul Ravisse) (باريس ١٨٩٥م)

— ابن عبد الحق البغدادى : عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ)
مراشد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع
ثلاثة أجزاء تحقيق على محمد البجاوى .
دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

— ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطى
المعروف بابن العبرى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨م) .

— ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل
(ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م)
البداية والنهاية
حـ١٣ ، حـ١٤ (القاهرة ١٣٥١هـ) .

— ابن الوردى : زين الدين عمر (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)
تتمة المختصر فى أخبار البشر (القاهرة ١٢٥٨هـ/١٨٦٨م) .

— أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم شهاب الدين
الشافعى الدمشقى (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٨م)
الذيل على الروضتين
تحقيق عزت العطار الحسينى الدمشقى بعنوان : « تراجم رجال
القرنين السادس والسابع » (القاهرة ، ١٩٤٧م) .

— أبو الفدا : اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه
(ت ٧٣٢هـ / ١٣٢١م)
المختصر فى أخبار البشر (القسطنطينية ، ١٢٨١هـ) .

— ابو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى
(ت ٨٧٤هـ / ١٨٩٦م)
النجوم الزاهرة فى ملك مصر والقاهرة
(مصر ١٢٢٩هـ/١٩٤٠م)

— الدوادار : بيــبرس
زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة
الجزء التاسع ـ تحقيق د٠ زبيدة محمد عطا
(غير معروفة سنة الطبع)

— الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
(ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
دول الاســــلام
الجزء الثانى (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ)

— رشيد الدين : فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة
(ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م)
جامع التواريخ ، تاريخ المغول
المجلد الثانى ـ الجزء الثانى
نقله عن الفارسية ، محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوى ، فؤاد الصياد (القاهرة ١٩٦٠م) ٠

— العينى : بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان
الجزء الأول حققه ووضع حواشيه د٠ محمد محمد أمين
(القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)

— القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشــا ـ الجزء الرابع
(القاهرة ١٣٣٦هـ/١٩١٧ م)

— المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول نشر د. محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٣٥٣ — ١٣٥٨هـ/١٩٣٤ — ١٩٣٩م) .

— المقريزى :
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار جزءان (بولاق ١٢٧٠هـ).

— النسوى : نور الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد المنشى
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى (القاهرة ١٩٥٣م) .

— ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى
(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
معجم البلدان نشر « وستنفلد » (ليبزج ١٨٦٦–١٨٧٠م)

— اليونينى : قطب الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن أحمد البعلبكى الحنبلى
ذيل مرآة الزمان — الجزء الأول (حيدر آباد الدكن ١٩٥٥م) .

المراجـــع

— أبرار كريم الله : (دكتور)
من هـــم التتـــار ؟
ترجمة وتعليق د٠ رشيدة رخيم الصيروتى ، سلســـلة الألف كتاب (الثانى) ، ١٤٧ ، الهيئة المصرية العـــامة للكتاب ، (القـــاهرة ١٩٩٤م) ٠

— احمد مختار العبادى : (دكتور)
قيام دولة المماليك الأولى (الاسكندرية ١٩٨٨م) ٠

— ثروت عكاشة : (دكتور)
اعصار من الشرق : جنكيزخان ، الطبعة الثالثة، (القاهرة١٩٦١م)٠

— حافظ أحمد حمدى :
الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى (القاهرة ١٩٥٠م) ٠

— بارتولد :
تاريخ الترك فى آسيا الصغرى ترجمة د٠ أحمـــد السعيد سليمان (القاهرة ١٩٥٨م) ٠

— بروكلمان (كارل) :
تاريخ الشعوب الاسلامية ترجمة د٠ نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى (بيروت ١٩٤٩م) ٠

— خمار قسطنطين :
- موسوعة فلسطين الجغرافية (بيروت ١٩٦٩م) ٠
- أسماء الأماكن والمواقع والمقالم الطبيعية والبشرية والجغـــرافية المعروفة فى فلسطين حتى ١٩٤٨م (بيروت ١٩٨٠م) ٠

— رنســـيمان
تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د٠ السيد الباز العرينى ، ثلاثة أجزاء (بيروت ١٩٦٩م)٠

— السباعى محمد السباعى : (دكتور)
عطا ملك الجوينى وكتابه جهان كشا (القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م)٠

— سعيد عاشور : (دكتور)
- مصر فى عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة ١٩٦٩م) ٠
- الظاهر بيبرس (القاهرة ١٩٦٣م) ٠
- الحركة الصليبية ، جزءان (القاهرة ١٩٦٣م) ٠

— السيد الباز العرينى : (دكتور)
- المغول (بيروت ١٩٦٧م) ٠
- مصر فى عصر الأيوبيين (القاهرة ١٩٦٠م) ٠

— سيدو :
تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة ١٩٤٨م) ٠

— صبحى عبد الحميد :
معارك العرب الحاسمة (بيروت ١٩٨٦م) ٠

— الصائغ ، أنيس :
بلدانية فلسطين المحتلة (بيروت ١٩٦٦م) ٠

— عماد عبد السلام رؤوف : (دكتور)
معركة عين جالوت (بغداد ١٩٨٦م) ٠

— فايد حماد عاشور (دكتور)
العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى (القاهرة ١٩٧٦م) ٠

— محمد عمارة :
معارك العرب ضد الغزاة (بيروت ١٩٧٥م) ٠

— مصطفى طه بدر : (دكتور)

محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد المغول (الجيزة ١٩٦٢م) ٠

— نتنج أنتونى :

العرب : انتصاراتهم وأمجاد الاســـلام ، ترجمة د٠ راشد البراوى (القاهرة ١٩٧٤م) ٠

— هارولد لام :

جنكيزخان وجحافل المغول ، ترجمة مترى أمين (القاهرة١٩٦٢م)٠

الفهـــرس

رقم الايداع ١٩٩٥/٨١١٥

I.S.B.N. 977-02-5022-8